



معهد عمي سعيد للدراسات الإسلامية والحضارية

غرداية - الجزائر

مسالك الدين عند الإباضية مفهومها وتطبيقاتها

مذكرة لنيل شهادة الليسانس في تخصص علوم الإسلامية

إشراف الأستاذ:

إبراهيم بن عمر بورورو

إعداد الطالبين:

الرجري سالم بن مسعود

الشرازي محمد بن أبو

السنة الجامعية

1439 - 1440 هـ / 2018 - 2019 م



معهد عمي سعيد للدراسات الإسلامية والحضارية

غرداية . الجزائر

مسالك الدين عند الإباضية مفهومها وتطبيقاته

قدمت المذكرة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة اليسانس في العلوم
الإسلامية

إعداد الطالبين: الشرازي محمد بن أبو بن حاج، وسالم بن مسعود الجرجري

الرقم	الأستاذ	الوظيفة	التوقيع
01	أ. إبراهيم بن عمر بورورو	مشرفا ورئيسا	
02	حاج أحمد بن حمو كروم	مناقشا	
03	خير الناس ياسين بن محمد	مناقشا	

وبعد المناقشة أجازت المذكرة عن معهد عمي سعيد للدراسات الإسلامية والحضارية غرداية، الجزائر بتاريخ:

يوم الأربعاء 24 جمادى الأولى 1440هـ / 30 جانفي 2019م

السنة الجامعية:

1439-1440هـ / 2018-2019م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والعرفان.....	ز
الرموز المختصرات	ح
مقدمة.....	ط
الفصل الأول : البناء المنهجي.....	1
إشكالية البحث	2
أهمية البحث.....	3
أهداف البحث:	4
سبب اختيار الموضوع:.....	4
المنهج المتبع.....	4
الدراسات السابقة	5
صعوبات البحث	6
الفصل الثاني: التعريف والتأصيل والتطبيق لمسالك الدين	8
المبحث الأول: مفهوم مسالك الدين والحاجة إليها.....	9
المطلب الأول: مفهوم المسالك لغة واصطلاحاً.....	9
المطلب الثاني: الحاجة إلى مسالك الدين في المجتمع والدولة	11
المبحث الثاني: التعريف والتأصيل والتطبيق لمسالك الدين الأربعة:.....	13
المطلب الأول: مسلك الظهور:	13
المطلب الثاني: مسلك الدفاع.....	28

39.....	المطلب الثالث: مسلك الشراء.....
47.....	المطلب الرابع: مسلك الكتمان.....
60.....	خلاصة الفصل الثاني :
63.....	الفصل الثالث: المسلك المعاصر وتنظيم المجتمع فيه:
64.....	مفهوم المسلك المعاصر.....
66.....	المبحث الأول: العزابة مفهومها، ونشأتها، وتنظيمها، وأثرها في المجتمع.....
66.....	المطلب الأول: مفهوم حلقة العزابة لغة واصطلاحاً.....
68.....	المطلب الثاني: نشأة حلقة العزابة وأسبابها.....
78.....	المطلب الثالث: تنظيم حلقة العزابة، وأثرها في المجتمع.....
85.....	المبحث الثاني: زنجبار تاريخها وبداية وجود الإباضية فيها.....
85.....	المطلب الأول: التعريف بزنجبار:.....
87.....	المطلب الثاني: زنجبار وبداية السكان العمانيين فيها:.....
89.....	المطلب الثالث: بداية دخول الإسلام في زنجبار ووجود الإباضية فيها.....
90.....	المطلب الرابع: سكان أهل زنجبار في عهد السلطان سعيد بن سلطان:.....
91.....	المطلب الخامس: لغة أهل زنجبار ونشأتها:.....
94.....	المبحث الثالث: زنجبار سياسياً وأثر مسالك الدين فيها:.....
94.....	المطلب الأول: دخول الحكم العماني في زنجبار:.....
96.....	المطلب الثاني: نظام الحكم في زنجبار.....
98.....	المطلب الثالث: العلماء ودورهم في إثراء الحياة العلمية في زنجبار.....

99.....	المطلب الرابع: سقوط زنجبار وحركتها العلمية الإسلامية:
102.....	المطلب الخامس: الأوضاع بعد انقلاب وحركة الإباضية فيها:
110.....	خلاصة الفصل الثاني:
112.....	الاستنتاج العام للبحث:

الإهداء:

نهدي هذا العمل :

✓ والدينا الأعزاء الذين ربونا صغارا بالحنان والمحبة وعلى ملة الإسلام ونقول لهم

﴿..رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء:24)

✓ جميع الإخوة والأخوات، وكل من تربطنا به علاقة النسب.

✓ جمعية الاستقامة الخيرية بزنجبار التي كفلتنا على العلم وطلبه منذ نمو أظفارنا.

✓ إدارة مؤسسة الشيخ عمي سعيد بالجزائر التي فتحت لنا أبوابها لنغوص في طلب العلم.

✓ كل المعلمين الذين علمونا ووقفوا إلى جانبنا إلى يومنا هذا.

✓ كل مؤسسة أو جمعية أو مكتبة التي استفدنا منها.

الشكر والعرفان:

الحمد لله الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

نقدم جزيل الشكر إلى الله سبحانه وتعالى شكرا كثيرا متواليا الذي منّ علينا بالصحة والعافية، وإن كان يتضاءل دون حق جلاله حمد الحامدين على أن شرفنا بهذا العمل الطيب بعد مسيرة طويلة وجهد جهيد، وله الحمد والشكر على إكمال هذا العمل بعونه الله تعالى وتوفيقه، ونصلي ونسلم على رسولنا ونبينا وحبينا وقدوتنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وجميع أصحابه وسلم تسليما كثيرا.

■ وكما نشكر آباءنا الذين ربونا صغارا على ملة دين الإسلام الحنيف، و على إرشادنا لطلب العلم .

■ نشكر جمعية الاستقامة ومعهدنا لكفالتها لنا على علم، ومنحها لنا فرصة مواصلة الدراسة في خارج التراب التنزاني.

■ وكما نصل الشكر بالتقدير والاعتراف الجميل لمؤسسة الشيخ عمي سعيد عامة، من رئيسها الشيخ: بشير بن موسى، وأمينها العام الشيخ : مصطفى قاسم كاره، وعلى مدير قسم الدراسات الإسلامية والحضارية الأستاذ: باباواعمر بالحاج بن يحي وكافة أعضاء إدارة المؤسسة.

■ ونشكر كل من قام بإرشادنا وتشجيعنا على المضي قدما في مواصلة مسيرة العلم وقطف هذه الثمرة اليانعة، وثمار في المستقبل إن شاء الله خاصة مشرفنا الكريم الأستاذ: إبراهيم بن عمر بورورو بالشكر الوافر والاعتراف له بالجميل، وجميع زملاء درب العلم .

■ والحمد لله رب العالمين أولا وأخيرا.

الرموز المختصرات

<u>الرمز</u>	<u>مدلوله</u>
ص	صفحة
ط	طبعة
دط	دون طبع
ج	جزء
ن	نشر
دن	دون نشر
هـ	هجريّة
م	ميلاديّة
ت	توفي
ق	قرن
و	ولد
"..."	للاقتباس
تح	تحقيق
تر	ترجمة
رت	رقم الترجمة
رح	رقم الحديث
﴿ ﴾	نص القرآن
(())	نص الحديث

مقدمة.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، هو وحده متصف بالقدم منزّه عن الزمان والمكان، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وبعد

إن مذهب أهل الحق والاستقامة هو أسبق مذهب عرفه التاريخ، ومنذ القرن الأول الهجري عرف هذا المذهب بالصمود على الحق، الأمر الذي جعل أتباعه يقفون أمام الجبابرة وحكام الجور، واستطاعوا حفظ دينهم من أحداث الزمان وتقلب الأحوال ومن بطش السلطان.

لقد كان لمذهب الحق في كل زاوية وأطراف البلاد أعداؤه الذين أرادوا تشويه سمعته وإحفاء وجوده، ولكن الله وعد أن يحفظ الحق وأن ينصر دينه من أيدي العابثين.

فالسؤال الذي نطرحه هنا ما الذي جعلهم يثبتون أمام أعدائهم واستطاعوا حفظ دينهم عبر القرون؟ بلا شك مبادئهم المتينة التي عرفت بمسالك الدين هي التي ضمنت وجودهم إلى يومنا هذا.

فنحن بحاجة إلى معرفة مفهوم مسالك الدين وتطبيقاته والمسلك الذي هم فيه لكي نحفظ ديننا كما حفظ الأوائل.

فحاولنا في هذا البحث جمع الموضوع على ثلاثة فصول كما يلي:

أما الفصل الأول هو فصل البناء المنهجي، وذكرنا فيه إشكالية البحث، وأهمية البحث، وأهداف البحث، وسبب اختيار الموضوع، والمنهج المتبع، والدراسات السابقة وصعوبات البحث.

وفي الفصل الثاني تحدثنا عن مفهوم مسالك الدين وتأصيلها وتطبيقاتها، وهو يحتوي على مبحثين؛ ففي المبحث الأول تناولنا مفهوم مسالك الدين والحاجة إليها، وأما في المبحث الثاني تحدثنا عن تعريف مسالك الدين الأربعة، وتأصيلها، وتطبيقاتها.

وأما في الفصل الثالث ركزنا حول المسلك المعاصر وتنظيم المجتمع فيه، وقسمناه إلى ثلاثة مباحث، أما المبحث الأول ألقينا الضوء على حلقة العزابة، مفهوماً، ونشأتها، وتطبيقاتها، وأثرها في المجتمع. وفي المبحث الثاني عن زنجبار تاريخها وبداية وجود الإباضية فيها، وأكملنا هذا الفصل بالمبحث الثالث وهو بعنوان زنجبار وأثر مسالك الدين فيها

وختمنا مشوار هذا البحث باستنتاج بعض العبر التي تحصلنا عليها في هذا الموضوع، مع ذكر التوصيات.

الفصل الأول : البناء المنهجي.

إشكالية البحث

أهمية البحث

أهداف البحث

سبب اختيار الموضوع:

المنهج المتبع

الدراسات السابقة

صعوبات البحث

إشكالية البحث.

اقتضت حكمة الله تعالى بأن يكون محمد صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء والمرسلين، والقرآن الكريم آخر كتاب الله نزولا على وجه الأرض، وأن يبين فيه أن الدين الذي رضي به هو الإسلام ﴿..الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا..﴾ المائدة 3. بعد أن اكتمل هذا الدين، وكونه مرضيا عند الله تعالى لما جعل فيه من المقاصد التي يرجع منفعتها إلى الإنسان نفسه، أصبح الدين هو ذروة السنام الذي ينبغي على الإنسان المحافظة عليه في جميع الأحوال، لأنه هو ما يضمن له سلامته في هذه الدنيا والآخرة.

لقد ترسخت هذه المفاهيم عند علماء الإباضية مبكرا وسعوا جهادا وتخطيطا، حتى يبقى هذا الدين الحنيف سالما مطبقا في واقع المسلمين كما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم. واستنتجوا من سيرته صلى الله عليه وسلم أربع طرق سلكها صلى الله عليه وسلم في تطبيق هذا الدين الحنيف، وطلقوا عليه فيما بعد مسالك الدين.

فنحن بحاجة إلى معرفة هذه المسالك بمفهومها الدقيق، ومدى صلتها بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وبعض الأمثلة التي وقعت في تاريخ الإباضية لتأكيد وجود تطبيق هذه المسالك في تاريخهم.

فكان انطلاق لهذا البحث بإشكالية وهي كما يلي:

الإشكالية الرئيسية:

ما مفهوم مسالك الدين عند الإباضية؟ وكيف طبّقت؟ وفي أي مسلك هم؟

الإشكالية الفرعية:

- ما المقصود بمسالك الدين الأربعة؟
- ما أهمية مسالك الدين في المجتمع الإباضي؟
- كيف طبقت مسالك الدين عند الإباضية في المشرق والمغرب؟
- ما هي الشروط لكل مسلك من مسالك الدين؟
- كيف يقع تنظيم المجتمع في الكتمان؟

أهمية البحث.

- لقد جعل الإباضية لكل مسلك من المسالك الأربعة شروطا وقواعد وأنظمة يجب على أتباعهم التقيد بها والالتزام بتنفيذها.
- يعتبر مذهب أهل الحق والاستقامة مسالك الدين أمرا ضروريا في حياتهم إذ يمكن بها معرفة أحوال الزمان وكيفية التصرف به، من هنا تأتي أهمية معرفة مسالك الدين حتى يكون أتباعهم على دراية تامة عن أحوال زمانهم وكيفية التصرف معها وفق مسالك الدين ليحفظوا دينهم بدون أن يتعرضوا إلى التهلكة والزوال.
- مستجدات العصر وتداخل الأفكار واختلاط الديانات في بعض المجتمعات مع الدعوى إلى الديمقراطية وبدون التعرف بكلمة الدين في بعض البلدان يلزم علماء الإباضية إلى توضيح آرائهم على الإباضيين الذين يعيشون في مثل هذه الظروف.

أهداف البحث:

إن هذا الموضوع يأمل أن يوضح للقارئ أهدافاً آتية:

- بيان مفهوم مسالك الدين.
- تأصيل هذه المسالك بالقرآن والسنة.
- بيان كيف طبقت مسالك الدين عند إباضية المشرق والمغرب.

سبب اختيار الموضوع:

- مما دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع هو المجتمع الإباضي الذي نعيش فيه حيث لا تكاد ترى أثر مسالك الدين، الأمر الذي جعل الأفكار الأجنبية تقتحم أبناء المذهب.
- أردنا أن نوضح لمجتمعنا أهمية وجود المرجعية التي ينبغي الرجوع إليها للتخطيط والتنظيم لمصالح المجتمع وفك المشكلات التي تقع فيه.
- نريد أن نظهر للناس الرصيد الفكري والتاريخي الذي اختص الله به أهل الاستقامة إذ يعد إخفاؤه جريمة في حق هذه الأمة.

المنهج المتبع

وستتبع في بحثنا هذا المناهج الآتية:-

- المنهج التاريخي: ويُعنى بذكر الوقائع والأحداث والحقائق التي حدثت في التاريخ الإباضي للاستفادة منها.
- المنهج الوصفي: ونعني جمع المعلومات وترتيبها وتركيبها وعرضها، وتفسير للمعطيات النظرية بغاية الوصول إلى النتائج العلمية.

- المنهج الاستدلالي الاستنباطي: وهذا بعرض أفكار الموضوع ومدلولاتها بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وسيرة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم.

الدراسات السابقة

بحكم دراساتنا في التاريخ والتراث الإباضي بشقيه المغربي والمشرقي "حول مسالك الدين" وجدنا أنه محتاج إلى أيدي الباحثين المخلصين سواء من أبناء المذهب الإباضي أو من غيرهم ليخرجوا نفائس التراث الإباضي لهذا الجيل والأجيال القادمة ليستفيد وليفيد غيرهم وليبين الحق والطرق السليمة لحفظ هذا الدين.

وقد قام بعض الباحثين المنصفين بجهد في هذا المقام العلمي منهم الباحث:

● الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش

لعدون جهلان: يعالج هذا البحث موضوع الفكر السياسي وما يتعلق به من آراء حول الإمامة، ونظام الحكم عند الإباضية، مع التركيز على آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش اليسجني المعروف بقطب الأئمة. وقد قسم هذا البحث إلى مدخل وبابين، ويضم كل منهما أربعة فصول، والخاتمة، ويوضح فكرة مسالك الدين عند الإباضية في الباب الثاني في فصله الثاني.

● الباحث: فرحات بن علي الجعبري في كتابه "التجربة السياسية عند الإباضية" في

هذا البحث القيم الشيق الذي قل ما يفهمه المبتدئ مثلنا، يقول الجعبري فيه "... أن الدولة هي الفعال السياسي الأول في تنظيم حياة الناس وتدير أمورهم، وهذه الدولة لا تستطيع أن تنهض بمهامها إذا كانت مهملة، بمعنى غير مرتبة ترتيباً هرمياً، توزع فيه المسؤوليات والوظائف على أساس التكامل والتفاعل..." وقسم بحثه هذا على مبحثين أساسيين. المبحث الأول سماه التجربة السياسية في المشرق وفيه أربعة محاور، وألقى الضوء حول مسالك الدين في المبحث الأول على محوره الثاني، وأما المبحث الثاني بعنوان التجربة السياسية في المغرب، وفيه ثلاثة محاور.

• صالح بن عمر اسماعي، "العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب" شمل هذا البحث الفصل التمهيدي وثلاثة أبواب، أما الباب الأول بعنوان الإمامة ونشأة نظام العزابة عند الإباضية، وفيه ثلاثة فصول، وفي الباب الثاني بعنوان المجتمع الميزابي والعزابة، وفيه ثلاثة فصول، وفي بابه الثالث تحت عنوان قيمة العزابة في المجتمع ومدى تطور نظمها، وفيه ثلاثة فصول.

بناء على هذا يمكن أن نقول: ما وجدنا من الدراسات السابقة لهذا الموضوع تتحدث عن مسالك الدين عموماً وبعض الأحيان إلى تخصيص المجتمع الإباضي بمزاب، إذ لا يشفي غليل الإباضيين الذين يعيشون في مجتمع منفتح كثير الآراء الداخلة فيه، ولا يعطيهم صورة واضحة للمسلك الذي هم فيه، لذلك نميل إلى أن الذين تناولوا هذا الموضوع كتبوا وفق مجتمعهم الذي يعيشون فيه.

وهذا البحث سيركز أكثر في تبيين حالة المجتمع الإباضي الزنجباري ومفهوم مسالك الدين المعروفة في مذهبهم، ونبيين لهم بأمثلة واضحة كيف طبق أوائلهم هذه المفاهيم، وسنحدد لهم المسلك الذي هم فيه.

صعوبات البحث:

لا يخلو أي عمل من الصعوبات والمتاعب التي يعاني المرء من ذلك العمل ومن أهم الصعوبات التي طالما كنا نعاني في انجاز هذا البحث المتواضع ما يلي:

1. قلة المصادر والمراجع، فقد عانينا في هذا البحث قلة المصادر والمراجع خاصة في ما يخص زنجبار وحركتها العلمية من حيث يحتاج الباحث التقصي والبحث الشديدين حتى يجد ما يسند إليه فكرة أو واقعة التي يريد أن يعبر عنها.
2. ضعف اللغة العربية، لاريب أن اللغة هي وعاء العلم والفكرة، وحتى يستطيع الإنسان تعبير عن أفكاره لا بد أن يكون لديه قدرة على تعبير دقيق لما يريد توضيحه، لهذا

عانينا كثيرا في تركيب الكلمات والجمل قدر وسعنا حتى نستطيع أن نوضح للقارئ
مانصبو إليه.

3. البيئة، بالحقيقة من عظمة الله وقدرته أن يجعل لكل مكان مميزاته، فيمتاز غرداية
التقلب الشديد للجو بين فصلي الصيف والشتاء القاسيتين، فلم يبق الخيار أمامنا إلا
أن نتحمل ذلك حتى نكمل مسيرة هذا البحث.

الفصل الثاني: التعريف والتأصيل والتطبيق

لمسالك الدين

المبحث الأول: مفهوم مسالك الدين

والحاجة إليها

المبحث الثاني: التعريف والتأصيل والتطبيق

لمسالك الدين الأربعة

المبحث الأول: مفهوم مسالك الدين والحاجة إليها.

المطلب الأول: مفهوم المسالك لغة واصطلاحاً.

الفرع الأول: مسالك الدين لغة:

س ل ك سَلَكَ المكان والطَّرِيقَ يَسْلُكُهُمَا سَلَكًا بِالْفَتْحِ وَسَلُوكًا كَفُعُودَ وَسَلَكُهُ غَيْرُهُ وَفِيهِ

والمسَلَكُ : الطَّرِيقُ ، والجَمْعُ المسالِكُ . وقولُ قَيْسِ بْنِ عِيزَةَ :

غَدَاةً تَنَادَوْا ثُمَّ قَامُوا فَأَجْمَعُوا ** بِقَتْلِي سَلَكِي لَيْسَ فِيهَا تَنَازُعٌ¹

فَأَجْمَعُوا بِقَتْلِي سَلَكِي: أي على طريقة واحدة، وأراد عزيمة قومية لا تنازع فيها

سلك: السلوك: مصدر سلك طريقاً؛ وسلك المكان يسلكه سلكاً، وسلوكاً، وسلكه غيره،

وفيه، أسلكه إياه، وفيه، وعليه و".." قال سعدة بن العجلان:

وهم منعوا الطريق وأسلكوهم ** على شماء، مهواها بعيدة²

ويظهر من هذه المعاني أن كلمة سلك يمكن استعمالها في اتخاذ طريق معين لغرض معين، أو

كيفية فعل شيء كما قال قَيْسُ بْنُ عِيزَةَ: ..فَأَجْمَعُوا** بِقَتْلِي سَلَكِي فِيهَا تَنَازُع.

وبعد أن تعرفنا على المفهوم اللغوي لكلمة سلك نتوجه إلى المفهوم الاصطلاحي عند الإباضية

لهذه الكلمة.

¹ ابن عبد الرزاق محمد بن محمد الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ط، ج27، ص205.

² ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية - بيروت، ط2 - 1430هـ/2009م، مجلد 10، ص534.

الفرع الثاني: مسالك الدين اصطلاحاً:

يقول أحمد بن يوسف أطفيش¹ في تعريف مسالك الدين:

هي الأحكام الشرعية (الأربعة) أي الطرق التي يتوصل بها إلى إنفاذ الأحكام الشرعية الأربعة: الظهور، والدفاع، والكتمان، والشراء.²

من هذا المنظور نفهم أن مسالك الدين عند الإباضية له مفهوم بنظام معين الذي به يمكن أن يتكيف المجتمع الإباضي.

¹ هو: المحمّد بن يوسف بن عيسى، اطفيش الملقب بقطب الأئمة، ولد ببني يزجن في وادي ميزاب غرداية بالجزائر سنة 1237هـ / 1821م. أشهر عالم إباضي بالمغرب الإسلامي في العصور الحديثة. "أنشأ القطب معهدا للتدريس ببني يسجن، تخرّج فيه علماء ومصلحون ومجاهدون، ومن أهم آثار الشيخ اطفيش تأليفه التي أغنى بها المكتبة الإسلامية، كمّا ونوعاً، فقد عدّها بعضهم وقال: إنّها تبلغ الثلاثمائة مؤلّف، ما بين كتاب ورسالة، فقد عمّر ستّة وتسعين عاماً، وكان لا يُعرف إلّا في تدريس علم، أو تأليف كتب.. توفي 1332هـ / 1914م. مجموعة الباحثين، معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب)، جمعية التراث، ط1، 1420هـ/1999م، ج2، رت: 866، ص84/69.

² أحمد بن يوسف أطفيش، شرح عقيدة التوحيد، تح: مصطفى بن ناصر، جمعية التراث-غرداية الجزائر، ط1، 1422هـ/2001م، ص195.

ويقول عبد الرحمن بكلي¹ موضحاً لهذه المسالك: "الشيء الذي تعبر عن مراحل الإمامة² - الإباضية - التي يمكن أن تحتازها في مختلف أدوار حياتها إزاء واجب الدعوة لدين الله.³"

بهذه النظرية يفهم عند الإباضية على أنهم في جميع مراحل الحياة التي يمر بها المجتمع المسلم لها أحكامها وكيفية معينة في تطبيقها. وهذا التصنيف لهذه المراحل عندهم له أهمية عظيمة في المجتمع والدولة بشكل عام.

المطلب الثاني: الحاجة إلى مسالك الدين في المجتمع والدولة

مسالك الدين من أهم أصول السياسة الإباضية، الذي ترسخت فيهم باكراً استنتاجاً من القرآن الكريم وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتعين هذا ظاهراً في تاريخهم الزاهر، وما يستوقفنا في هذا المطلب هو النظر إلى حاجة هذه المسالك في المجتمع الإباضي والدولة بشكل عام حتى أصبح من أهم أصولهم.

من الواضح أن الإباضية يستنتجون أحكامهم من الكتاب العزيز وما صح من السنة النبوية الشريفة وما يشمل من سيرته صلى الله عليه وسلم، وما يليهما من مصادر أخرى لاستنباط الأحكام الشرعية العملية من الإجماع، والقياس، والاستصحاب، والاستحسان والمصالح

¹ عبد الرحمن بن عمر بن عيسى، بكلي الشهير ب(البكري) عالم جليل، وشخصية مرموقة، ولد بالعطف غرداية الجزائر سنة 1319هـ/1901م. عنده كتب كثيرة مطبوعة وغير مطبوعة وترك مكتبة ثرية، كما كان يشارك في نشاطات جمعية العلماء بالعاصمة، وغيرها كالعطف، وافته المنية في بريان إثر مرض خفيف 1406هـ/1986م. مجموعة من الباحثين، معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب)، مصدر سابق، رت: 548، ص 360/365.

² الإمامة: رئاسة عامة في أمر الدين والدنيا لشخص، وهي خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم في إقامة الدين وحفظ حوزة الملة. وتجتمع التعاريف على اعتبارها قيادة ورئاسة، ونظام وحكم، وسلطة دينية سياسية، وأنها خلافة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعني بكل شؤون الأمة إقامة للشرع، ودفاعاً عن الحقوق. ويعبر عنها بالإمامة والإمارة والخلافة، كلها مصطلحات لمعنى واحد، وهو نظام الحكم، إلا أن الاستعمال الغالب في المصادر الإباضية هو (الإمامة) "بينما لم يطلقوا مصطلح الخلافة إلا في حق الخلفاء الراشدين،" لكون بيعة الخلافة تتم بإجماع الأمة كلها وتجب طاعة الخليفة على الجميع". مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - سلطنة عمان - ، ط1-1429هـ/2008م، ص 59-60.

³ عبد الرحمن بكلي، فتاوى بكري، دط، دن، ج2، ص 337.

المرسلة؛ بهذا النظر يتعين مسالك الدين من نتائج هذه المصادر ولا يمكن أن يقال إن هذه المسالك افترضها الواقع، بل هي نتاج عقول راسخة في تعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتاريخ يوضح لنا أن الذين لم يوافقوا على النتائج تعرضوا إلى المخاطر والزوال.

ويتعين هذه المسالك في النقاط التالية:

أ. حفظ الدين وفعاليته في المجتمع، مسالك الدين تحدد الوضعية التي يعيش فيها المجتمع وإعطاء العلماء الإباضية قدرة على التصرف اللائق على حسب تلك الوضعية، فمثلا إذا كان المجتمع في الكتمان فلا يمكن أن يطبق فيه أحكام الظهور من تطبيق الحدود ومقاتلة البغاة، بل في هذه الوضعية سيجب على العلماء بذل قصارى جهدهم في تعليم المجتمع لدينهم وترسيخ عقيدتهم حتى لا تضع تعاليم الإسلام الصحيح في المجتمع. وإنشاء المؤسسات التي ستحفظ ثقافتهم وهويتهم.

ب. بمسالك الدين يمكن إرجاع مقاصد الشريعة الإسلامية على حسب وضعية الناس التي هم فيها، من حفظ الدين أو النفس أو العرض أو المال، ويمكننا بهذا فهم القواعد الأصولية الهامة، كالمشقة تجلب التيسر، والأمر إذا ضاق اتسع وإذا اتسع ضاق.

ج. بمسالك الدين يمكن أن يتعرف المجتمع على الخطر الذي يهددهم ويتخذوا قرارا مناسبا على ذلك، لأنه إذا تلبس عالم هذه المسالك يمكن أن يدخل الأمة في المهالك.

د. مسالك الدين تقودنا إلى رؤية ضرورية لوجود المرجعية التي تنظم وتوجه وتقرر ما ينبغي فعله في أجواء مختلفة، ورد الشبهات الفاسدة التي تهدد المجتمع، إذ لا ينبغي أن تبقى أمة بدون الموجه الذي يرجع الناس إليه.

المبحث الثاني: التعريف والتأصيل والتطبيق لمسالك الدين الأربعة:

مسالك الدين الأربعة هي: الظهور، والدفاع، والشراء، والكتمان، ففي هذا المبحث سنسعى إلى توضيح مفهوم هذه المسالك ومدى علاقتها بالقران الكريم والسنة النبوية الشريفة، وسنضرب أمثلة من التاريخ الإباضي لنبين على موافقة تطبيق هذه المسالك.

المطلب الأول: مسلك الظهور:

الفرع الأول: تعريف لمسلك الظهور لغة واصطلاحاً:

1- تعريف مسلك الظهور لغة:

ظهر، يظهر ظهوراً، "ظهرت عليه: قويت عليه. يقال ظهر فلان على فلان أي قوي عليه. وفلان ظاهر على فلان أي غالب عليه. وظهرت على الرجل غلبته."¹

ظهر يظهر: ظهوراً تبين²، وبرز بعد الخفاء.

وظهر يظهر: ظهراً وظهوراً: ظهر به أو عليه غلب عليه، قهره.³

2- تعريف بمسلك الظهور اصطلاحاً

"هو الوضع الطبيعي لدولة المسلمين حيث يكون لها كامل السلطة ويتولى أمورها إمام يختار بالشورى ويقيم أحكام الله ويطبق حدوده"⁴،

¹ ابن منظور، لسان العرب مصدر سابق، مجلد4، ص605.

² م الفيروزابادي حمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط1 - 1415هـ/1995م ج2 ص156

³ جبران مسعود، الرائد معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين - بيروت - لبنان، ط4 - 1981، مجلد2 ص988.

⁴ مصطفى صالح باجو، منهج الاجتهاد عند الإباضية، مكتبة الجيل الواعد، مسقط - عمان، ط1 - 1426هـ/2005م ج1 ص829.

ويقول أبو إسحاق إبراهيم أطفيش¹ "هو الاستقلال التام وقيام أحكام الدين ظاهرة"² وهذا عندما تكون الدولة الإسلامية قوية، لا تهدد من خارج.

"وصورة مسلك الظهور تكون عندما يكون المجتمع الإسلامي ظاهرا على أعدائه، حرا في أراضيه مستقلا بأحكامه عاملا بكتاب الله وسنة رسوله منفذا لأحكام الدين، لا يخضع لأجنبي بوجه من الوجوه، ولا يستبد به حاكم ولا يطغى عليه ذو سلطان..³"

ومن هذه التعريفات يتبين أن مسلك الظهور هو المرحلة التي يكون المسلمون فيها أقوىاء ذوي سلطة كاملة في البلد، من حيث لا يعيقهم شيء من تنفيذ أحكام الله تعالى، وهنا تتبين العلاقة الوطيدة بين التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي، لأن في هذه المرحلة تظهر قوتهم ويبرز المسلمون بجميع أحكامهم من حيث كانوا قبل ذلك خائفين مكتئمين لأمرهم، ففي هذه المرحلة لا يجوز تعطيل أي شيء من أحكام الله تعالى.

¹ هو إبراهيم بن محمد ابن إبراهيم بن يوسف اطفيش (أبو إسحاق) 1305هـ/1886م، ت: 1385هـ/1965م عالم بني يزجن بميزاب غرداية الجزائر.. أبعدته فرنسا واختار التوجه إلى القاهرة، هناك ألف وحقق، والطبع والفتوى. ومن مؤلفاته : (الدعاية إلى سبيل المؤمنين، المحكم والمتشابه، وغير ذلك، وكان له صلات بالحركات الإسلامية متينة وكثيرة، وكان له مساهمة فعالة في الثورة العمانية.. وبعد أن وافاه أجله دفن بمقبرة المغرب الكبرى بالقاهرة حطو صهره الشيخ قاسم بن سعيد الشماخي. مجموعة الباحثين، معجم أعلام الإباضية قسم المغرب، المجلد الثاني، رت: 037، ص44.

² أحمد بن سعيد الشماخي مقدمة التوحيد وشروحها، تصحيح وتعليق: أبو اسحاق ابراهيم أطفيش، دن، دط، ص50.

³ صالح بن عمر اسماوي، العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب، جمعية التراث القرارة- غرداية - الجزائر، ط1- 1426هـ 2005م، ص 221.

الفرع الثاني: تأصيل مسلك الظهور بالقرآن والسنة والسيرة النبوية الشريف

مسلك الظهور ثابت بالقرآن والسنة النبوية الشريفة الأمر الذي جعل الإباضية يخططون على إرجاعه مرارا، وهنا سنبين ما يعتمدونه في إثبات هذا المعنى:

الأول: تأصيل مسلك الظهور بالقرآن

- يقول الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ..﴾¹ يخبر الله سبحانه وتعالى أنه معز رسوله ومن عنده من المؤمنين²

- ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾³

"تأكد الأمر الإلهي للمؤمنين بصيغة لام الأمر التي هي أصرح في الوجوب، والمخاطبون هم كافة المؤمنين لأننا ولو صرفنا معنى "من" للتبويض فإن الأمة المؤمنة مكلفة في مجموعها بإيجاد تلك الطائفة التي تقوم بتلك المهمة الدعوية.. ويطلب المسلم أن يسعى إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. "بما يستطيع وفق منزلته ومقامه في المجتمع، ولو أن تغيير المنكر باليد هو أنجح وأعظم فعالية في محاربة الآفات الاجتماعية والحد من الانحرافات لأن الحكمة تقول: "يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن"، وتلك مهمة خواص الأمة من العلماء والأمراء.."⁴

فقد جاء وعيد شديد للذين لا يتناهون عن منكر بينهم في قوله تعالى:

¹ سورة المنافقون: 8

² هود بن محكم الهواري، تفسير كتاب الله العزيز، تح: بالحاج بن سعيد شريفي، دار البصائر - الجزائر، ط1- 1426هـ/2005م، ج4، ص325.

³ سورة ال عمران: 104

⁴ محمد ابراهيم سعيد (كعباش)، نفحات الرحمن في رياض القرآن، جمعية النهضة - العطف - غرداية - الجزائر، دط، 1425هـ/2004، ج2، ص 369 .

- ﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾¹ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ¹

لهذا يتبين وجوب وجود أمرين بالمعروف ناهين عن المنكر في المجتمعات، لذلك نفهم أهمية وجود القوة التي تسير قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يمكن أن يتحقق هذا الأمر كما ينبغي إلا إذا كان المسلمون أقوياء، والعصاة إذا أعلنوا معاصيهم في البلاد دليل على ضعف المسلمين الموفين. يقول أحمد بن عبد الله الكندي: "...إذا غُوصِي الله وأُطِيع الشيطان علانية، فقد عز الباطل وأهله ووهن الحق وأهله،"²

- ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾³

يوضح لنا القطب معنى هذه الآية "إيتوا به قائما على الدوام ، أو مستقيما لا خلل فيه... معنى إقامة دين التوحيد والعبادة ، والايمان بالكتب والرسل والبعث ، وشمل ذلك الأصول وما أمروا به من الفروع ... وقد قيل : المراد بإقامة الدين تحليل الحلال ، وتحريم الحرام ، بحسب ما أوحى اليهم"⁴

إقامة الدين كاملا بما فيه من الأحكام والحدود من مظاهر الظهور وهو دليل على قوة المسلمين وغلبهم على العصاة والمشركين.

¹ سورة المائدة: 79/78

² أحمد بن عبد الله بن موسى الكندي، المصنف، تح: مصطفى باجو، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - سلطنة عمان، ط1، 1437هـ/2016م، ص 301.

³ سورة الشورى: 13

⁴ أحمد بن يوسف اطفيش، تيسير التفسير تح: ابراهيم طلاي، المطبعة العربية - غرداية، دط، 1423هـ/2002، ج9، ص358.

- ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾¹
لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ: أي ليجعل الإسلام مهيمنا على كل الأديان ظاهرا منتصرا.

والظهور: هو النصر والغلبة أي ليجعل هذا الدين حجة على كل الأديان السابقة مصدقا لها ومهيمنا عليها.

الثاني: من السنة والسيرة النبوية الشريفة.

جاءت كثير من الأحاديث التي تبين فضائل إقامة حدود الله في الأرض، وفضائل إمام عادل مثل قوله ﷺ: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إقامة حد بأرض، خير لأهلها من مطر أربعين صباحا))²

في هذا الحديث يتبين لنا مشروعية إنفاذ جميع أحكام الله في الأرض مادام المسلمون أقوياء على ذلك وإن كانوا على غير ذلك عليهم أن يعملوا قصارى جهدهم حتى يبلغوا تلك الفضائل، وما نزل كتاب الله على الأرض إلا ليطبق.

الحديث الذي جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم مني مجلسا إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدّهم عذابا إمام جائر))³

وفي سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة "بعد إعلان الدولة الإسلامية بكل مقوماتها بحرية تامة، والجهاد في سبيل الله ضد كل من يعترض الدعوة الإسلامية، ويقف في

¹ سورة الصف: 9

² النسائي أحمد بن شعيب ، المجتبى من السنن، تح: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط2، 1406هـ - 1986م، ج8، ص76.

³ البيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر ، سنن البيهقي الكبرى، تح : محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، دط، 1414 - 1994، ج10، ص88.

طريقها، وإقامة الحدود وتنفيذ الأحكام وأداء حقوق الله، وحقوق العباد بحرية، ومثلها الذي لا يتم إلا في الظهور:¹(من قطع يد السارق أو رجليهما، أو المحارب، وجلد البكر، ورجم المحصن الزاني، والجلد في الخمر، وما أشبهها، وكذا سائر الأحكام من أخذ الصدقة، وقتال المشرك أو الباغي أو المحارب، وأخذ الجزية من أهل الكتاب، وأخذ مال المشركين غنيمة، وقسمة ذلك كما أمره الله تعالى، وغير ذلك من الأحكام..²)

الفرع الثالث: خصائص لمسلك الظهور وشروط.

من خصائص مسلك الظهور وشروطه ما يلي:

أ. أن يكون فيهم ستة رجال فصاعداً أهل علم بأصول الدين والفقه من ذوي الورع والصلاح في الدين.

ب. أن يكون أهل الدعوة أربعين رجلاً أحراراً بالغين أصحاء. حدد العدد بالأربعين كحد في الشراء بحيث لا يقل عنه للخروج وهو ما دأب عليه أكثر الإباضية قديماً، وليس شرطاً لإعلان الظهور "ربما قدر الرجل في الأربعين. وربما لم يقدر في عشرة آلاف، وربما ينظر في تبليغ الحجة"³

¹ أسماوي، العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي، مصدر سابق، الحلقة 1، ص 223

² الشماخي، مقدمة التوحيد وشروحها، مصدر سابق ص 50.

³ أحمد الكندي، المصنف، مصدر سابق، ص 298

ج. قوة أهل الدعوة وذلك أن يغلب على ظنهم أن يغلبوا أهل الباطل.¹
د. بلوغ عدد المسلمين نحو نصف الأعداء من حولهم. وهذا ما بيّنه الشيخ أطفيش (القطب)
أن يكون عدد أهل الحق والاستقامة على الأقل نصف عدوهم المتخوف منه² استناداً إلى
قوله تعالى ﴿الْآنَ حَقَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ
يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾³

الفرع الرابع: تطبيق مسلك الظهور في تاريخ الإباضية شرقاً وغرباً

وفي تطبيق هذا المسلك لقد نجح الإباضية تحقيقه في أرض الواقع، والآن نقدم بعض
الأمثلة على ذلك:

1/تطبيق مسلك الظهور في المشرق:

سنبدأ بذكر بعض أمثلة الأئمة الذين تحقق على أيديهم هذا المسلك، ونقصد بذلك
اليمن وعمان.

1- طالب الحق الكندي.

أبو يحيى عبد الله بن يحيى بن عمر بن الأسود الكندي الجنلدي الحضرمي الملقب بطالب
الحق(ت130هـ/748)

نشأ في اليمن حيث وصلت الدعوة الإباضية سرا. فالتحق بحلقة أبي عبيدة بالبصرة حيث
كان التفكير في الثورة على الدولة الأموية. رجع إلى حضرموت موطنه الأصلي حيث ولي
القضاء لإبراهيم بن جبلة عامل الأمويين هناك في انتظار وصول المدد من البصرة. وحال

¹ مهدي طالب هاشم، الحركة الإباضية في المشرق العربي، دار الحكمة - لندن - ط 1 ص 272- 273.

² اسماعوي، العزبة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب، مصدر سابق، الحلقة 1 ص 224، نقلاً عن شرح عقيدة التوحيد
ص 435.

³ سورة الأنفال: 66

وصوله مع أبي حمزة الشاري¹ ببيع طالب الحق إماما للظهور فخير العامل الأموي بين الانضمام إليهم أو الخروج. فالتحق بصنعاء التي كان عليها القاسم بن عمر الثقفي². ثم استطاع طالب الحق بعد ذلك أن يعلن الإمامة بصنعاء بعد انتصاره على واليها من قبل الأمويين. ثم يعم نحو الحجاز فضم إليه مكة والمدينة بعد حروب. هنالك وجه إليه مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية جيشا بقيادة عبد الملك بن محمد السعدي استطاع أن يهزم أبا حمزة في الحجاز ثم طالب الحق في اليمن 130هـ/748 وبذلك انتهت إمامة الظهور في اليمن لكن الكيان الإباضي استمر بها إلى ق 7هـ/13م.³

¹المختار بن عوف بن عبد الله بن يحيى بن مازن السليمي الأزدي العماني الشاري (أبو حمزة)، ت: جمادى الأولى 130هـ/748م، من أعلام تابعي التابعين، ولد بقرية مجز بعمان وانتقل إلى البصرة، فأخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ونبغ في البلاغة، ويعتدّه الباحثون من أعلام الأدباء في عصره، .. أرسله أبو عبيدة مسلم مددا لثورة عبد الله بن يحيى طالب الحق، التي هزّت كيان الأمويين في آخر عهدهم بمنطقة حضرموت واليمن، وكان خير مدد، وأحسن مغيث. محمد بن صالح ناصر وسلطان بن مبارك الشيباني، معجم أعلام الإباضية (قسم المشرق)، دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان، ط1، ج2، رت: 870، ص84.

²القاسم بن عمر بن محمد بن الحكم، من بني ثقيف، من رجال العصر المرواني. له شعر. ولاء " مروان بن محمد " على اليمن (سنة 127) ونشبت في أيامه ثورة الاباضية، بحضرموت واليمن، يقودها " طالب الحق " عبد الله بن يحيى. وقتلهم القاسم ليردهم عن صنعاء، فغلبوه وقتلوا أخا له اسمه " الصلت " فرحل عنها. ومما قاله، بعد خروجه: " ألا ليت شعري هل أدوسن بالقنا ... تبالة أو نجران قبل مماتي ". خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، دط، 2002م، ج5، ص178.

³فرحات بن علي الجعبري، التجربة السياسية عند الإباضية، مكتبة الضامري، ط1 - 1436هـ/2015م ص53.

2- الجلندی بن مسعود بن جیفر بن جلندی.

"هو أحد بني الجلندبن المستكبر بن مسعود بن الحران، أحد ملوك عمان بعد أولاد مالك بن فهم¹"². أخذ العلم عن الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وهو من حملة العلم إلى المشرق، من البصرة إلى عمان.³

"وكانت البيعة للجلندی رحمه الله في سنة 132..⁴ اجتمعت عنده جميع صفات الإمامة، وهي العلم والعدل والشهامة، "مع ما جمع الله له من الصفات التي لا تكاد توجد في غيره"⁵ ..وأخذ الدولة من يد الجبابرة، وبرئ من جبابرة وأشياعهم، ودان بقتال أهل البغي..⁶

¹ هو مالك بن فهم بن غانم بن دوس بن عدنان، ملك عظيم من ملوك عمان في العصر الجاهلي، خرج من اليمن قبل اختيار سد مأرب بقليل فملك العراق 12 سنة، ثم ترك ابنه جذيمة المعروف بالأبرش ملكا، فذهب مالك بن فهم إلى عمان من طريق نجد فكان لا يمر بقبيلة من قبائل العرب إلا أطاعته وانقادت له حتى وصل إلى عمان، وكان بما الغزو الكسروي ملكا عليها، فقامت بينهما معارك كثيرة فانتصر مالك بن فهم وكان له السيادة في عمان بعد ذلك، قال بعض المفسرين هو المراد بقوله تعالى ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (الكهف 79)، وهو من شعراء الخطباء. سليمان بن خلف بن محمد الخروصي، ملاح من التاريخ العماني، مكتبة الضامري- السيب - سلطنة عمان، ط3- 1422هـ/2002م ص96/95.

² سالم بن حمود بن شامس السبائي، عُمانُ عبر التاريخ، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط2: 1406هـ/1986م ج1، ص230

³ محمد بن صالح ناصر وسلطان بن مبارك الشيباني، معجم أعلام الإباضية (قسم المشرق)، دار الغرب الإسلامي- بيروت - لبنان، ط1، ج1، ص86

⁴ السبائي، عمان عبر التاريخ، مصدر سابق، ج1، ص229-233

⁵ السبائي، مصدر نفسه ج1، ص230

⁶ السبائي، مصدر نفسه ج1، ص233

"ازدهرت عمان في عهده برجال العلم والصلاح كالربيع بن حبيب¹، وعبد الله بن القاسم، وهلال بن عطية² أرسل إليه العباسيون جيشا بقيادة خازم بن خزيمه، فانهزم الجندى ومات شهيدا في المعركة سنة 134هـ..³

3- الوارث بن كعب الخروصي (ت192هـ)

إمام شهير من أئمة العدل بعمان، عقدت له الإمامة سنة 177هـ.

"..وطئ الوارث أثر السلف الصالح من المسلمين، وسار بالحق، وأظهر دعوة المسلمين، وأعز الحق وأهله، وخمد الكفر، ودفع الله الجبايرة⁴.

ومكث فيها خمس عشرة سنة، قائما بالحق والعدل توفي في سيل الوادي، وكان سبب وفاته أنه نزل الوادي وكان بعض السجناء مربوطين في شجرة وسط الوادي فبعث الإمام من يفك عنهم حتى لا يغرقوا إلا أنه لم يستطع أحد فنزل بنفسه وقال: "أمانتي" فغرق في الوادي ومعه سبعون رجلا⁵.

¹ إمام، داعية، محدث. الإمام الثالث بعد جابر وأبي عبيدة هو العلامة الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي الفراهيدي العماني. ولد بغضفان إحدى قرى الباطنة حوالي سنة 75هـ، تتلمذ على الإمام جابر بن زيد، وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وضمام بن السائب، وصالح الدهان، واحتل بعد ذلك مكان الصدارة تدريسا وتأليفا وإفتاء وأسهم في الحركة العلمية بالبصرة، فأشرف على حملة العلم ووجههم إلى عمان واليمن وخراسان، وخلف شيخه أبا عبيدة في تسيير أمور الدعوة، وامتاز في مجال التأليف فكان رائدا في تدوين الحديث والفقه، ومن أهم مؤلفاته: - الجامع الصحيح، مسند الإمام الربيع بن حبيب (عمدة الإباضية في السنة). محمد بن صالح، والشيباني، معجم أعلام الإباضية (قسم المشرق) مصدر سابق، رت: 368، ص 152/153.

² محمد بن صالح و الشيباني، مصدر سابق، ج1، ص86.

³ محمد بن صالح و الشيباني مصدر نفسه، ج1، ص86.

⁴ سرحان بن سعيد الأركوي، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تح: محمد حبيب صالح ومحمد بن مبارك السليمي، وزارة التراث والثقافة - سلطنة عمان، ط2 - 1434هـ/2013م، ج3، ص119.

⁵ محمد صالح و الشيباني، معجم أعلام الإباضية (قسم المشرق)، مصدر سابق، ص494.

4- غسان بن عبد الله الفجحي اليعمدي ت سنة: 207هـ

بعد وفاة الإمام الوارث بن كعب ؛ اجتمع علماء الإباضية لتنصيب إمام جديد، ومن المجتمعين سليمان بن عثمان¹، ومسعدة بن تميم²، ووقع اختيارهم على الإمام غسان يوم الإثنين 6 جمادى الأولى 192هـ. سار بالإمامة سيرة مرضية، فأعز الحق وأزال الفساد. انقطعت في عهده البوارج التي كانت تغير على عمان. أقام في نزوى، وأخصبت البلاد في عهده. أنشأ أسطولاً بحرياً كبيراً في عمان، استطاع به تأمين البحر من القراصنة الهنود. استطاع إخماد المعارضة الداخلية التي كانت تتمثل في بني الجلندی وبني هناء.. لم تقطع يد سارق في عمان إلا في عهده. شهدت عمان في عهده تطورا وازدهارا في شتى المجالات وخاصة الزراعة. وسميت نزوى في زمانه بيضة الإسلام.

توفي بعد مرض أصابه يوم الأحد بعد صلاة الفجر 26 ذو القعدة 207هـ / 823م. وكانت مدة إمامته خمس عشرة سنة، وستة أشهر وعشرين يوماً.³

¹ قاض عالم فقيه، من عقر نزوى. من علماء القرن الثاني الهجري. كان قاضيا للإمام الوارث بن كعب الخروصي، ثم قاضيا للإمام غسان بن عبد الله، وكان من جملة المبايعين للإمام غسان سنة 192هـ، له أحكام مأثورة وآراء فقهية مشهورة... محمد صالح و الشيباني. معجم أعلام الإباضية (قسم المشرق)، مصدر سابق، رت: 608، ص216/217.

² عالم فقيه من علماء القرن الثاني الهجري. وهو من علماء عمان المشاهير في عهد الإمام غسان. وعلى رأسه كانت بيعة الإمام غسان بن عبد الله الخروصي سنة 192هـ. وكان أشدهم عزيمة، وأصوبهم رأيا عند المفاجأة لموت الإمام الوارث بن كعب الخروصي غرقا.. محمد صالح والشيباني، معجم أعلام الإباضية (قسم المشرق)، مصدر نفسه، رت: 1351، ص442.

³ محمد صالح والشيباني، معجم أعلام الإباضية (قسم المشرق)، مصدر نفسه، ج 1، ص267.

2 / تطبيق مسلك الظهور في المغرب:

1- عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن سام كسرى الملك الفارسي.

تقدم عبد الرحمن بن رستم إلى البصرة بعد أن أذنت له أمه. طلبا للعلم، ولما وصل إلى البصرة " أراد عبد الرحمن أن يتأكد من موقفه وبسلامة اختياره فجال بين المساجد ودور العلم، واستمع إلى كبار تابعي التابعين وهم يشرحون كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وانتقل من حلقة إلى حلقة ومن عالم إلى عالم حتى حضر الدروس على ألائك الأعلام الذين يقومون بالدفاع عن دين الله في حرص وأمانة واختار من بينهم واحدا ليتلقى عنه العلم ويقتبس منه نور الهداية واختار مجلس أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة مولى بني تميم¹ ليصبح أحد حملة العلم إلى المغرب.

ولما عاد إلى المغرب "بويع بالإمامة عام ستين ومائة وقيل عام اثنتين وستين بتيهرت وكانت تيهرت غياطيل وأشجارا ملتفة يسكنها أنواع السباع والوحوش، أرضها لقوم من البربر فلما أذن الله بعمارقتها بالناس" و.." اتفقوا أن يتخيروا موزعا بينون فيه مدينة لتكون حرزا وحصنا للإسلام فأرسلوا الرواد فطافوا أطراف تلك البلاد فاستحسنوا موضع تيهرت فاتفق رأي المسلمين على بنائها.."

فلما بنوها أنسوا من أنفسهم قوة فنظروا من يصلح للولاية من رؤساء القبائل فوجدوا جماعة كل واحد صالح شجاعة وعلمًا وتقى فاتفق رأيهم على عبد الرحمن لفضله وكونه من حملة العلم ولكون المسلمين أرادوا تقديمه قبل أبي الخطاب وامتنع.. ولكونه عامل أبي الخطاب على إفريقية وما والاها، ولأنه لا قبيلة له تمنعه إذا تغير عن طريق العدل فبايعوه على إقامة كتاب الله وسنة رسوله واتباع الخلفاء الراشدين فقبل على ذلك وأقام بأمر الله وزهد الدنيا بعد أن

¹ علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، في تونس دار الثقافة - بيروت - لبنان، ط 1 - 1375هـ / 1966م، ج 3، ص 1، ص 25.

تمكن منها فلم ينقم أحد عليه في خصومة ولا حكومة ولا أخذ مال ولا أقام حدا ولا ميل إلى الدنيا..¹

2- عبد الوهَّاب بن عبد الرحمن بن رستم (حكم: 171-208هـ / 787-823م)

"عبد الوهَّاب بن عبد الرحمن بن رستم.. ذوي الأكتاف الفارسي..² تلقَّى العلم بالقيروان ثمَّ بتيهت عن أبيه عبد الرحمن وغيره من حملة العلم. عاصر الربيع بن حبيب إمام الإباضية بالبصرة بعد أبي عبيدة وجابر بن زيد.

عالم متضلِّع من أكبر علماء زمانه، اشترى وقر أربعين بعيراً من الكتب من البصرة، فلمَّا تصفَّحها وقرأها وأتمَّها قال: (الحمد لله الذي علَّمني كلَّ ما فيها من قبل، ولم أَسْتفد منها إلَّا مسألتيْن لو سئلت عنها لأُجبت فيها قياساً)³.

هو "الإمام الثاني من أئمة الرستميين"⁴ بويغ بالإمامة بعد أبيه عبد الرحمن بن رستم⁵ بعد أن جعلها شورى بين خيار المسلمين.

بلغت الدولة الرستمية في عهد الإمام عبد الوهَّاب شأواً بعيداً في الحضارة، فكانت لها علاقات النَّدِّ للنَّدِّ مع الأمويين بالأندلس، ومع الأغالبة في إفريقية، ومع المدرارين في جنوب المغرب الأقصى، وعلاقات تجارية وطيدة مع إفريقية جنوب الصحراء، ومع إباضية المشرق..

¹ أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي، كتاب السير، تح: أحمد بن سعود السيبي، وزارة التراث القومي والثقافة - سلطنة عمان - ط 3 - 1412هـ/1992م، ج 1 ص 124/125.

² الشماخي، مصدر نفسه، ص 272.

³ الشماخي، مصدر نفسه، ص 591.

⁴ مجموعة من الباحثين، معجم الاعلام الإباضية قسم المغرب، مصدر سابق، ص 591.

⁵ الشماخي، مصدر نفسه، ص 272.

ترك الإمام عبد الوهَّاب آثارا بالغة في الحياة "الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والسياسية، والعسكرية... فقد اتَّسعت دولته من حدود مصر شرقاً، إلى مدينة تلمسان في أقصى المغرب الأوسط غرباً، بل إنَّ هيمنته شملت في بعض الأحيان دولة بني مدرار في المغرب الأقصى..¹

وكان إمامته سبعا وثلاثين سنة (171-208هـ) ..وتوفيَّ سنة 208هـ/823م، تاركاً الدولة قويَّة مهيبة السلطان، وخلفه ابنه أفلح في الإمامة بلا ولاية للعهد سابقة ولكن بترشيح من أصحاب الحلِّ والعقد.²

3- أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن:

هو الإمام أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم - رحمه الله - ثالث الأئمة الرستميين ، تولى حكم الدولة الرستمية في سنة 208هـ واستمر في الإمامة حتى وفاته في سنة 258هـ ، تلقى العلم بتيهت عن أبيه الإمام عبد الوهاب ، وعن جده الإمام عبد الرحمن رضي الله عنهما ، وكذلك أخذ العلم عن علماء ومشايخ تيهت ، وكذلك أخذ العلم عن الإمام أبي غانم الخرساني³ - صاحب المدونة - حين زار تيهت ، وأكثر ما أخذ عنه علم الحديث.

كان الإمام أفلح عالما من أكبر علماء زمانه ، وفقهيا شاعرا ، وقد تصدر للتدريس صغيرا لم يتجاوز سن الحلم ، فقعد بين يديه أربع حلق : في الفقه ، والأصول ، واللغة ، وعلم

¹الشمّاخي، كتاب السير، مصدر سابق، ص592-593.

² مجموعة الباحثين، معجم أعلام الإباضية بالمغرب، مصدر سابق، ج3، ص594.

³هو الإمام الحافظ الفقيه، من أهل خراسان.(ت: أوائل ق3هـ)، قدم البصرة لتلقي العلم على يد أئمة علماء الإباضية وخاصة الإمام أبي عبيدة ولم يدرك من حياته إلا قليلا، فأخذ أكثر علمه عن تلامذته من بعده. ومن شيوخه الذين ذكرهم في مدونته: أبو عبيدة والربيع وابن عبد العزيز وأبو غسان وأبو المؤرج وأبو أيوب وائل وأبو سفيان.. وغيرهم.. محمد صالح والشيباني، معجم أعلام الإباضية (قسم المشرق)، مصدر سابق، رت: 91، ص69/68.

الكلام؛ وقد تخرج من مدرسته جمع من العلماء منهم : ابنه أبو اليقظان ، وأبو بكر ، ونفاث بن نصر ، وسعيد بن يونس الويغوي وغيرهم.

انفرد الإمام أفلح بآراء في علم الكلام واعتبر لذلك إماما من أئمة العلم مع كونه إمام دولة، وقد ترك العديد من الرسائل العلمية ، وله جوابات وفتاوى في النوازل ، كما أن له اهتماما بالحديث وروايته.

وقد ترك من المؤلفات منها ما طبع ومنها ما يزال مخطوطا ؛ وقد بلغ في علم حساب الغبار والنجامة مبلغا عظيما ؛ وكان كذلك شاعرا أديبا بارعا ، له قصيدة رائية رائعة في التحريض على طلب العلم مطلعها:

العلم أبقى لأهل العلم آثارا :: يريك أشخاصهم رَوْحا وإبكارا.

وقد كان مع علمه وأدبه وزهده سياسيا وقائدا محنكا بلغت الدولة الرستمية في عهده من الرقي مبلغا كبيرا ، ووصلت إلى أوج ازدهارها ، وقد عدّه الشيخ علي يحيى معمر من أعظم من تولى الإمامة في المغرب الإسلامي؛ وقد توفي رضي الله عنه في سنة 258هـ.¹

¹ منها السعدي، عقب من التاريخ الإباضي مدارس إباضية عبر التاريخ، دن، دط، 1423/1424هـ - 2002/2003م، ج 1 ص 17.

المطلب الثاني: مسلك الدفاع

الفرع الأول: التعريف بمسلك الدفاع لغة واصطلاحاً

1- لغة: (دفعه) وإليه وعنه الأذى كمنع..¹

و(الدفاع) للعدو إذا جاءهم أو جاء أموالهم أو جاء لمن يريدون أن يدفع الظلم عنه بإمام ينصب له..²

2- اصطلاحاً:

يقول الدرجيني³: إن يدهم أهل الكتمان بداهمة، فيولوا عليهم من يدفع عنهم العدو.⁴ ويوضح لنا الجعبري (الدفاع: تعيين إمام في حالة محاربة العدو وتنتهي إمامته بانتهاء الحرب).⁵

يتضح لنا في هذين التعريفين أن الدفاع يمكن أن يكون في حال رد العدو الذي يهاجم المسلمين ويهددهم في بلادهم الآمنة والظاهرة، أو مرحلة إرادة إقامة الظهور، فالمسلمون في حال الكتمان ويثورون على الظالم لإقامة دولة إسلامية ظاهرة.

¹ الفيرزبادي ، القاموس المحيط، مصدر سابق، ج3، ص21.

² أطفيش، شرح عقيدة التوحيد، مصدر سابق، ص13.

³ أشهر علماء درجين ببلاد الجريد، جنوب تونس.. له قصائد كثيرة وشعر فائق، وله أجوبة بالشعر، وألغاز في الفرائض. وقد ذكر في بعض قصائده أنه أنشدتها قبل البلوغ .. بالإضافة إلى فقهه، وقوة لغته وبلاغته وشعره، فهو مؤرخ من المحققين، لم يكتف بنقل ما سبقه إليه غيره من كتّاب سير الإباضية، وإنما أبدع منهجاً جديداً في كتابة السيرة الإباضية، وهو منهج الطبقات، إذ وضع في ذلك مؤلفه المشهور: (طبقات المشايخ بالمغرب). في جزأين... مجموعة الباحثين، معجم أعلام الإباضية قسم المغرب، مصدر سابق، ج2، رت: 081، ص89.

⁴ أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تح: إبراهيم الطلاي، دن، ط2، ج1، ص5.

⁵ فرحات الجعبري، البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، جمعية التراث - القرارة - الجزائر، ط1-

"..والدفاع في مسالك الدين يرادف ما يعبر عنه في العصر الحاضر بالثورة .. الثورة على الاستعمار الأجنبي، أو الثورة على الاستعمار الداخلي: كالثورة على الظلم، والثورة على الإقطاع، والثورة على الفساد، والثورة على الانحراف عن دين الله في كل مظهره وأشكاله..¹"

" يصبح الدفاع واجبا ضروريا في غياب مرحلة الظهور؛ وحين يتعرضون للهجوم، أو يشكون في احتمال هجوم ما، ينبغي على المسلمين أن يختاروا قائدا ليقودهم في قتال عدوهم. مثل هذا الإمام يعرف بإمام الدفاع؛ وينبغي أن يكون عالما ذا مقدرة عسكرية رفيعة؛ له السلطة الكاملة ذاتها كإمام الظهور إلى أن تبلغ الحرب نهايتها؛ وبنهاية الحرب تنحل إمامته تلقائيا، بحيث لا يكون لدى المسلمين أية صعوبة في إزاحته من منصبه..²"

الفرع الثاني: تأصيل مسلك الدفاع بالقرآن والسنة والسيرة النبوية الشريفة:

مسلك الدفاع مشروع من الكتاب والسنة النبوية الشريفة، والظاهر الذي لا يختفي في سيرته صلى الله عليه وسلم. وبيانه كما يلي:

1- من القرآن الكريم:

- الآية: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾³

¹ علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1384هـ/1964م، ج1، ص94.

² عمرو خليفة النامي دراسات عن الإباضية، تر: ميخائيل خوري، دار الغرب الاسلامي، ط1، 2001، ج1، ص277.

³ (سورة البقرة آية، 251)

- ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَدِمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾¹

في هاتين الآيتين نفهم أن الصراع بين الحق والباطل مستمر في الحياة وعلى الذين تمسكوا بالحق أن يدافعوا على الحق وأن لا يعطوا للظالمين سبيلا، ولا يستسلمون على أيديهم ليتسلطوا عليهم ظلمهم، حتى يبقى دين الله ظاهرا على وجه الأرض.

- ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾².

ووجه الاستدلال في هذه الآية هو أن قضية رد العدو من بلاد الإسلام وتوفير الأمن والسلام لعباد الله من أنواع القربات إلى الله تعالى، وشرع الجهاد في الإسلام لأجل حماية دين الله على الأرض ورفع الظلم عنها.

2- من السنة الشريفة:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضِيلِ ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((أَعَدَّ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادٌ فِي سَبِيلِي ، وَإِيمَانٌ بِي ، وَتَصَدِيقٌ بِرُسُلِي ، فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أَدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ ، نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ))³

يتضح في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزواته أنه كان مدافعا عن دين الله وعن الدولة الإسلامية التي كانت في نشأتها، وكان المشركون ومن شاركهم يحاولون إسقاطها، فأخذ

¹ الحج، (آية 40)

² سورة المائدة: 35 آية

³ محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، مكتبة أبي المعاطي، دط، ج4، ص51

صلى الله عليه وسلم بخطوات مناسبة على ذلك، فمثلا في غزوة الخندق لما اجتمعت أكثر قبائل العرب برئاسة قريش لمحاربة النبي صلى الله عليه وسلم اتفق النبي مع أصحابه بحفر الخندق لحماية المدينة، ويقول ابن كثير¹ في سيرته: " فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أجمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة."² لهذا نصنف فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا في سنته الفعلية، ويتجلى بنا مشروعية الجهاد لمداخلة أمر المسلمين.

الفرع الثالث: خصائص مسلك الدفاع وشروطه:

- أ- مدهمة العدو للأمة، وسيطرته على الوضع، وقد يكون هذا العدو من خارج الدولة استهدف الأرض والشعب وأطاح بالإمامة القائمة وقد يكون العدو من الداخل كظهور حزب منشق يقوم بثورة ضد الحكم القائم. أو من الخارج بتدخل أجنبي في شؤون الدولة وهذا هو الغالب.
- ب- تفشي الفساد وإشاعة الفاحشة، وكثرة الظلم بسبب انحراف الحاكم عن الجادة وتخليه عن الأمانة وخيانتة لله ورسوله والمؤمنين..³

¹ إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام 701هـ/1302م.. من كتبه البداية والنهاية 14 مجلدا في التاريخ على نسق الكامل لابن الأثير انتهى فيه سنة 767، وشرح صحيح البخاري لم يكمله، وطبقات الفقهاء الشافعيين، في شستريتي (3390) كتب في حياته سنة 749 وتفسير القرآن الكريم عشرة أجزاء.. الزركلي، الأعلام، مصدر سابق، ج1، ص320/321.

² إسماعيل بن كثير، السيرة النبوية، تح: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة. بيروت - لبنان، ج3، ص182.

³ عدون جهلان، الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش، جمعية التراث - القرارة - غرداية - الجزائر، دط، 1410هـ/1990م، ص156/157.

الفرع الرابع: تطبيق مسلك الدفاع في تاريخ الإباضية شرقا وغربا.

لم يبق الدفاع لأمر المسلمين محصورا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقط، بل تكرر في تاريخ الإباضية الأمر الذي يزيدنا يقينا على أن الإباضية كانوا يطبقون تعاليم رسول الله وفهموا أفعاله فهما دقيقا، وهنا سنعرض بعض أمثلة مسلك الدفاع التي وقعت في التاريخ الإباضي.

1- تطبيق مسلك الدفاع في المشرق.

1 . عبد الله بن وهب بن ميدان بن مالك بن نصر الأزدي الراسبي العماني:

هو أول إمام دفاع ذكرته المصادر الإباضية.. "أدرك الرسول صلى الله عليه وسلم إذ كان في وفد عمان الذي توجه إلى المدينة عام 9هـ، لإعلان إسلام عمان وقبائله،..عرف بالعلم والرأي والصلاح والعبادة، شارك في فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص¹ - رضي الله عنه - ، وأبلى البلاء الحسن.² (..عرف عبد الله بن وهب بالزهد والعبادة حتى لقب بذي الثفنات. كان حسن الرأي حكيما وقورا..)³.

بايعه المحكمة إماما لهمم (..يدافع عنهم من أرادهم..)⁴ استشهد في واقعة النهروان 38هـ .

¹ سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري، فاتح العراق، ومدائن كسرى، وأحد الستة الذين عينهم عمر للخلافة، وأول من رمى بسهم في سبيل الله ويقال له فارس الاسلام. أسلم وهو ابن 17 سنة، وشهد بدار، وافتتح القادسية، ونزل أرض الكوفة فجعلها خططا لقبائل العرب، وظل واليا عليها مدة عمر بن الخطاب. وأقره عثمان زمنا، ثم عزله. فعاد إلى المدينة، فأقام قليلا وفقد بصره، ومات في قصره بالعقيق (على عشرة أميال من المدينة) وحمل إليها. الزركلي، الأعلام، مصدر سابق، ج3، ص87.

² محمد صالح ناصر والشيباني، مصدر سابق، ط1 ص293.

³ محمد صالح والشيباني، معجم أعلام الإباضية قسم المشرق ، مصدر السابق، ص293

⁴ الشماخي، كتاب السير، مصدر السابق، ج1، ص161.

2. الإمام راشد بن الوليد وسعيد بن عبد الله:

(عقد لإمام راشد بن الوليد البيعة نخبة من علماء عصره في البطحاء بوادي كلبوه .. بعد وفاة الإمام سعيد بن عبد الله الذي قتل بالرساق سنة 312هـ... بسط الإمام راشد سلطته على أكثر نواحي عمان وبعث الولاة والعمال إلى الآفاق، وكان من أفضل الأئمة علما وورعا وصلابة في الحق، وقد ساد في عهده العدل، وكثرت الأرزاق، وانتشرت العلوم.)¹

قال أبو سعيد²: "كانت بيعة راشد بن الوليد رحمه الله على الدفاع..³ وقال أبو محمد عبدالله بن محمد بن أبي المؤثر⁴: إن بيعة الإمام أبي القاسم سعيد بن عبدالله جرت على الدفاع لا على الشراء؛ وكان يثني عليه في العلم مالا يبلغ إلى صفة ذلك.

وقال محمد بن روح⁵: كان الإمام سعيد بن عبدالله أعلم الجماعة الذين كانوا معه. قال أبو سعيد: وقد كان معه أبو محمد الحواري بن عثمان وعبدالله بن محمد ومحمد ابن الحسن ومحمد

¹ محمد صالح والشيباني، معجم أعلام الإباضية قسم المشرق، مصدر نفسه ص143.

² هو أبوسعيد محمد بن سعيد بن محمد بن سعيد الناعبي ، حي في: 272هـ ، والكدمي مسكنا؛ نسبة إلى كدم إحدى قرى بھلا. ولد في أواخر القرن الثالث وبداية الرابع، وعاش ومات بقرية العارض من منطقة كدم (الحمراء حاليا) .. وكان واحدا من كبار علماء عمان المحققين، إلى درجة أنه إذا أطلق اسم "أبو سعيد" قصد به هو دون غيره... يعتبر الشيخ أبو سعيد أحد الذين أثروا تأثيرا مهما في الفقه الإسلامي بعمان، حيث تلقى أقواله وكتبه القبول والرضى من جمهرة الأئمة وجمهور الأمة. وهو المرجع في الفتوى والأحكام عند الإباضية، مما جعل العلماء في عمان يطلقون عليه "إمام المذهب" ..

محمد صالح والشيباني، معجم أعلام الإباضية (قسم المشرق)، مصدر السابق، رت: 1209، ص399

³ محمد صالح والشيباني، معجم أعلام الإباضية قسم المشرق ، مصدر نفسه، ص293

⁴ هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبي المؤثر الخروصي البهلوي حي في: 328هـ، نسبة إلى بني خروص من أهل بھلا. من رجال القرن الرابع الهجري. نشأ في أسرة علمية، ذات مكانة في بلدة بھلا. شارك أبو محمد في تنصيب الإمامين، سعيد بن عبد الله سنة 320هـ، والإمام راشد بن الوليد سنة 328هـ. كتب سيرة في مسألة عزل الإمام الصلت، وقد نقلت عنه أقوال وآراء كثيرة في الفقه والأحكام. توفي أبو محمد في وقعة الغشب، زمن الإمام راشد بن الوليد. محمد صالح والشيباني، معجم أعلام الإباضية (قسم المشرق)، مصدر نفسه، رت: 842، ص287.

⁵ هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن روح بن عربي الكندي النزوي (ق: 3 و4هـ) ، هو من أهل سمد نزوى وعلمائها الكبار، وزعيم النزوانية. عاش في زمن الاحتلال العباسي الأول لعمان، وشهد أحداث القرامطة بها. تتلمذ على يد علماء القرن الثالث .. "محمد صالح والشيباني، معجم أعلام الإباضية (قسم المشرق) ، مصدر نفسه، رت: 1194، ص395/394.

بن زائدة مع نفر لا ينكر في الدار فضلهم، ولا يجهل عدلهم. وقال أبو محمد عبدالله بن محمد بن أبي المؤثر رحمه الله: لا نعلم في أئمة المسلمين كلهم بعمان أفضل من سعيد بن عبدالله إلا أن يكون الجلندي بن مسعود.¹

¹ السالمي، تحفة لأعيان، مصدر سابق، ج 1 ص 234.

2- تطبيق مسلك الدفاع في المغرب:

1 يعقوب بن ليبب التجيبي الملزوزي الكندي الهواري (أبو حاتم)¹(ت: 27 ربيع

الأول 155هـ / 7 مارس 772م)

كانت ولايته ولاية الدفاع² ببيع بإمامة الدفاع سنة 145هـ/762م بطرابلس بعد القضاء على إمامة أبي الخطّاب عبد الأعلى بن السمح³، وبعد ملاحقة ابن الأشعث⁴ للإباضية في كلّ سهل وجبل، ما كان من الإباضية إلّا أن ردّوا على ملاحقته بالهجوم، فكانت إمامة أبي حاتم الملزوزي دفاعاً عن النفس، وهجوماً على المعتدي..⁵

أبو حاتم أحسن السيرة حتى لمقاتليه ويظهر هذا عندما تمرد عوام البربر من جنده الذين لا نظرة لهم من أمور الدين، إذ عمدوا إلى إسلاب المقاتلين، فأخذوها وانتزعوا ثيابهم "فغضب أبو حاتم في ذات الله بفعلهم ذلك، فقال لهم: ليس من سيرة المسلمين إذا قتلوا من بغى

¹الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، مصدر السابق، ج1، ص37-39

²الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، مصدر نفسه، ج1، ص36.

³ هو الامام ابو الخطّاب عبد الأعلى بن السمح من علماء اليمن في القرن الثاني الهجري (ت: 144هـ)، أخذ علمه عن أبي عبيدة وهناك التقى بطلبة المغاربة الذين وفدوا إليه سنة 135هـ. وبعد خمسة أعوام، انتقل معهم إلى المغرب لمواصلة الدعوة في تلك الربوع، واستقروا بطرابلس سنة 140هـ. وكانت آنئذ في اضطراب كبير بسبب ثورة الخوارج الصفرية، وعقدوا إمامة الظهور لأبي الخطاب سنة 140هـ. وسار في المغرب بسيرة الخلفاء الراشدين، وامتد سلطان دولته شرقاً إلى برقة، وغرباً إلى القيروان عاصمة بلاد المغرب الإسلامي، وجنوباً إلى فزان، وبقي هذا الحكم العادل أربع سنوات، وبعث الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور إليه جيشاً ضخماً بقيادة محمد بن الأشعث الخزاعي، الذي قضى على أبي الخطاب وإمامته في معركة تاورغا سنة 144هـ. واستشهد في هذه المعركة.. محمد صالح والشيباني، معجم أعلام الإباضية (قسم المشرق) مصدر سابق، رت: 534، ص261/262.

⁴ محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي: وال، من كبار القواد في عصر المنصور العباسي. ولاء المنصور مصر سنة 141 هـ ثم أمره باستنقاذ إفريقية من بعض المتغلبة - بعد مقتل حبيب بن عبد الرحمن الفهري - فوجه إليها جيشاً بقيادة أبي الاحوص العجلي، فهزمه الثائر أبو الخطاب، فسار ابن الأشعث في 40 أو 50 ألفاً (سنة 142) فقتل أبا الخطاب سنة 144 ودخل القيروان سنة 146 وانتظم له الامر في إفريقية، فثار عليه عيسى بن موسى بن عجلان (أحد جنده) في جماعة من قواده، وأخرجوه من القيروان سنة 148 فعاد إلى العراق. ثم غزا بلاد الروم مع العباس ابن عم المنصور، فمات في الطريق. الزركلي، الأعلام، مصدر سابق، ج6، ص36.

⁵ مجموعة الباحثين، معجم أعلام الإباضية بالمغرب، مصدر السابق. ج2 ص475

عليهم من أهل التوحيد، وكفى الله مؤونتهم أن يطلبوا من انهزم أو يجهزوا على جريحهم ولا أن ينتزعوا ثيابهم."

فسمعوا منه كلاما شديدا على إنكار ذلك وهددهم بالاعتزال " فلما سمعوا ذلك منه، أطاعوه وردوا أسلاب المقاتلين".¹

استطاع أن ينتصر على جيش ولادة بني العباس في عدة معارك، وكان له جيش لم يجتمع لأحد من الإباضية بإفريقية مثله قبله، قدره بعض المؤرخين بثلاثمائة وثلاثين ألف جندي، شارك به سنة 151هـ/768م في الثورة ضد عمرو بن حفص والي إفريقية، ودخل به مدينة طرابلس، فاستولى عليها سنة 153هـ/770م بعد هزيمة جيش الجنيد بن بشر الأسري، عامل عمرو بن حفص على طرابلس.

وواصل هجوماته فحاصر القيروان أم قرى إفريقية بالمغرب، ودخلها الإباضية سنة 154هـ/771م بعد عام من الحصار، وأقام بها سنة أخرى... وفي حصاره لطبنة سمع بقدم جيش عباسي عرمرم بقيادة زيد بن حاتم المهلبي والي مصر، بعثه الخليفة المنصور للقضاء على الإباضية بالمغرب، فالتقى الجيشان في ربيع الأول سنة 155هـ/772م في مغمداس، وانهزم أبو حاتم وجيشه في موضع جنبي (لعلها مدينة جندوبة) حيث استشهد مع كثير من أصحابه.²

¹ يحيى بن أبي بكر، كتاب السير الأئمة والأخبار، تحقيق: إسماعيل العربي، دار الفكر العربي - بيروت - لبنان، ط2 - 1402هـ/1982م، ص75

² مجموعة الباحثين، معجم أعلام الإباضية بالمغرب، مصدر السابق. ج2 ص475
¹ عدون جهلان، الفكر السياسي عند الإباضية، مصدر السابق، ج1، ص44² النامي، دراسات عن الإباضية، مصدر سابق، ص113.

2. إسماعيل بن زياد النفوسي

تولى إسماعيل بن زياد النفوسي بعد موت الحارث وعبد الجبار ،¹ "وقد جاء في المصادر الإباضية أن أبا الزاهر كان (إمام دفاع)²"
..استطاع أن يسيطر على مناطق طرابلس..³ وهي حقيقة تشير إلى أن هذه الفترة بقيادته كانت فترة كفاح عسكري متواصل بوجه أعدائه..⁴
"واستطاع الإباضية بزعمهم إمامهم الجديد أن يعيدوا سيطرتهم على مناطق واسعة من ولاية طرابلس كما استولوا أيضاً على مدينة قابس وما جاورها، ولكن الإمام النفوسي قتل في العام نفسه (132هـ) وهو يحارب قوات الوالي عبدالرحمن بن حبيب"،⁵

"أثناء الفترة التي تلت مقتل إسماعيل بن زياد النفوسي الإباضي عام 132هـ رجع إباضية المغرب إلى مرحلة الكتمان لينظموا أنفسهم من جديد، وينشروا دعوتهم سرّاً في مناطق جديدة، وكان إبان ذلك يراقبون التطورات السياسية في شمال أفريقية محاولين انتهاز الفرصة المناسبة لإعلان إمامة الظهور"⁶

3. أبو خزر يغلي بن زلتاف:

حاول إحياء الإمامة الرستمية وحارب الفاطميين لهذا الغرض "أبو خزر يغلي بن زلتاف الوسياني (ت: 380هـ/990م) من كبار علماء الإباضية، برع في علم الكلام، وانفرد فيه بآراء متميزة. وهو من أبناء الحامة بقسطنطينية من بلاد الجريد بالجنوب التونسي ، إذ كانت في عهده

¹عدون جهلان، الفكر السياسي عند الإباضية ، مصدر السابق، ج1، ص44² النامي، دراسات عن الإباضية، مصدر سابق، ص113.

² النامي، دراسات عن الإباضية، مصدر سابق، ص113.

³ النامي ، مصدر نفسه، ص127

⁴ النامي، مصدر نفسه، ص113

⁵ عوض خليفات، نشأة الحركة الإباضية، وزارة التراث القومي والثقافة، - سلطنة عمان، ط1 ص142.

⁶ خليفات، نشأة الحركة الإباضية، مصدر سابق، ص146

آهلة بالإباضية. نشأ بها وتلقى العلم عن جلة علماء عصره، أخذ الأدب وعلم اللسان والفروع عن أبي الربيع سليمان بن زرقون النفوسي¹؛ والأصول عن سحنون بن أيوب². تصدر هو وزميله أبو القاسم يزيد بن مخلد اليهراسني للتعليم، فقعدا حلقات وقصدهما الطلبة من مختلف مواطن الإباضية بالمغرب انتهجا طريقة المدرسة المتنقلة بين أحياء مزاتة، ومن تلاميذه: أبو نوح سعيد بن زنگيل، وأبو زكرياء فصيل. وكان له نشاط سياسي وعسكري، إذ قاد ثورة مسلحة ضد جور العبيديين، وانتقاما لمقتل زميله أبي القاسم يزيد بن مخلد، فبويع أبو خزر إمام دفاع، وحشد جيشا لقتال المعز الفاطمي³، وتوجه إلى باغاي سنة 358هـ/968م ولكنه تعجل الأمر قبل أن يصله المدد من ريغ والزاب ووارجلان، فحاصره المعز وأخفقت ثورته. ثم هرب إلى جبل تلتماجرت، مستخفيا هناك، إلى أن أعطاه المعز الأمان واستقدم إلى بلاطه سنة 359هـ/969م، ولما رحل المعز إلى مصر سنة 362هـ/972م، أخذه معه ليأمن جانبه، وكانت له في مجالس المعز مناظرات مع العلماء تشهد على رسوخ قدمه في العلم والمناظرة. وقال المعز "يغلا عالم ورع" ووصفه أبو زكرياء أنه "كان إماما ورعا مجتهدا في العبادة جامعاً لخصال الخير والعلم والحلم والفراسة" كما عده أبو يعقوب الوارجلاني من العلماء العشرة الذين

¹ أبو الربيع سليمان بن زرقون النفوسي من نفوسة (تاديوت) بليبيا، أحد العارفين، والعلماء البارزين، لازم الشيخ ابن الجمع لما جاء من المشرق، واستقر في توزر بتونس، ثم انتقل معه إلى سجلماسة ليتلمذ على يديه، ومكث سليمان بن زرقون في سجلماسة حتى وفاة شيخه ابن الجمع فعاد إلى قسطاليا فعين بها مفتياً. وكان أبو الربيع قد بلغ من العلم مالم يبلغه كثير ممن في عصره. معجم أعلام الإباضية قسم المغرب، مصدر سابق، ج3، رت: 447، ص417.

² سحنون بن أيوب من (طبقة 7: 300-350هـ / 912-961م) عالم متكلم بارع، فقيه أوانه، وعمدة مكانه، رويت عنه في العلوم روايات، وكان يُعدُّ من أهل الدرايات، وله فتاوى ومسائل كثيرة في النوازل، وآثاره محفوظة غير منسية في جهة طرابلس آنذاك. يعدُّ من الأئمة الثقات المنبئة. معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، مصدر نفسه، ج3، رت: 368، ص589.

³ المعز الفاطمي (319 - 365 هـ = 931 - 975 م) معد (المعز لدين الله) بن إسماعيل (المنصور) بن القائم بن المهدي عبيد الله الفاطمي العبيدي، أبو تميم: صاحب مصر وإفريقية، وأحد الخلفاء في هذه الدولة. وبويع له بالخلافة في (المنصورية) بعد وفاة أبيه سنة 341 هـ وقام الدعوة للمعز، بمصر والشام والحجاز. وكان عاقلاً حازماً شجاعاً أديباً ينسب إليه شعر رقيق.. الزركلي، الأعلام، مصدر سابق، ج7، ص265.

انفردوا بآراء في علم الكلام. توفي سنة 380هـ/900م، وترك كتابا بعنوان "الرد على جميع المخالفين" ولعله أقدم كتاب إباضي مغربي في علم الكلام بعد الدينونة الصافية.¹

المطلب الثالث: مسلك الشراء

الفرع الأول: التعريف بمسلك الشراء لغة واصطلاحاً.

1- الشراء لغة:

شَرَى الشيءَ يَشْرِيهِ شِرْياً وشَرَاءً واشْتَرَاهُ شَوَاءً وشَرَاهُ بَاعَهُ قال الله تعالى ﴿ومن الناس من يَشْرِي نفسه ابتغاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾ وقال تعالى ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ أي باعوه وقوله عز وجل ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ﴾ قال أبو إسحاق: ليس هنا شَرَاءٌ ولا بَيْعٌ ولكن رَغَبُهم فيه بَتَمَسُّكِهِم به كَرَغْبَةِ المِشْتَرِي بماله ما يَرَغَبُ فيه والعرب يقول: لكل من تَرَكَ شيئاً وتَمَسَّكَ بغيره قد اشْتَرَاهُ..²

2- الشراء اصطلاحاً:

"..أن يبيع الشاري نفسه في سبيل الله وأن يبايع على التفاني في ذلك إلى استشهاده فلا سبيل إلى الرجوع إلى الحياة العادية التي يألفها المسلم،..³

والشراء يعني التضحية: وهو بيع الدنيا في سبيل الآخرة أو شراء الآخرة بالدنيا-وبعبارة أخرى، ليس إمام الشراء سوى تحقيق الإمامة أو التضحية. ذلك أن درب التضحية (الشراء) هو درب الرجال "الذين أسلموا أرواحهم إلى الله تعالى في سبيل جنته والذين لا يتوقفون إلا بعد أن

¹ مجموعة الباحثين، معجم أعلام الإباضية قسم المغرب، مصدر سابق، ج4، ص1001-1003.

² بن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج14، ص427.

³ فرحات بن علي الجعبري، التجربة السياسية عند الإباضية، مصدر سابق، ص89.

يصبح أمر الله ظاهراً (بدرج الظهور) ولو ماتوا من أجل ذلك.¹ وتعني كلمة الشراء ، الشراء والبيع ، وهي كلمة تستخدم في الكتابات الإباضية تعبيراً عن التضحية بحياة المرء... لمواجهة العدو الظالم أو أي شيء آخر.. في سبيل الله لبلوغ الجنة .والشراء (بالجمع) (هم الذين باعوا أنفسهم في سبيل الله).²

ويختلف الشراء عن الدفاع من حيث الطريقة، فالدفاع يعتمد على مجابهة العدو ميدانياً في حين يتميز الشراء بمباغته في كل مكان، وعدم مهادنة الظلم. وهي تعتمد على حرب العصابات، لأن الهدف هو عدم إعطاء الفرصة للعدو حتى يتمكن من تنفيذ برامجه الجائرة.³

الفرع الثاني: تأصيل مسلك الشراء بالقرآن والسنة والسيرة النبوية الشريفة:

1- في القرآن الكريم:

- قال تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ..﴾⁴ أي هم الذين باعوا أنفسهم في سبيل الله. وقال تعالى ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁵

وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ

¹ حسين عبيد غانم غباش، عمان الديمقراطية الإسلامية تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث (1500-1970)، دار الجديد، ط1-1997، ص68-69.

² النامي ، دراسات عن الإباضية، مصدر سبق، ج1 ، ص278.

³ بكير بن بلحاج وعلي، الإمامة عند الإباضية بين النظرية والتطبيق مقارنة مع أهل السنة والجماعة. مكتبة الضامري - سلطنة عمان- ، دط، ج1، ص324.

⁴ البقرة. آية 207 .

⁵ سورة النساء آية 74

فَاسْتَبْشِرُوا بِنَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ¹

قوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾² أي بالمؤمنين من عباده. إن المؤمن دعا الكافر إلى طاعة الله فأبى ، فشرى المؤمن نفسه بالجنة ، أي باع نفسه بالجنة فاشتراها . قال : ﴿ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ بالجهاد في قتال المشركين . وهو مثل قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾³

وقال بعضهم : إن أصحاب النبي من المهاجرين والأنصار، لما رأوا المشركين يدعون مع الله إلهاً آخر، شروا بأنفسهم غضب الله، وجاهدوا في سبيل الله حتى أظهر الله دينه⁴.

2- في السنة والسيرة النبوية الشريفة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أفضل الأعمال كلمة حق يقتل عليها صاحبها عند سلطان جائر))⁵

والرسول يقول: في أجر الشهيد: ((الشهيد يغفر له عند أول قطرة تقطر من دمه في سبيل الله ويجار من عذاب القبر))⁶ قوله (الشهيد) أي شهيد المعركة.

¹ التوبة 111، آية

² البقرة 207

³ التوبة آية 111

⁴ الهواري، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج 1، مجلد 1، ص 184.

⁵ رواه أبو عبيدة عن جابر بن زيد، الجامع الصحيح، الجزء الثاني، رح: 455، ص 17.

⁶ رواه ابن عباس -الجامع الصحيح، الجزء الثاني، رح: 450، ص 16.

وقوله (يغفر له عند أول قطرة تقطر من دمه) أي غفر الله له ذنوبه عند أول قطرة من دمه ويعطى بباقي القطرات عظيم الدرجات فيلقى ربه مغفوراً له منعماً مكرماً، وقوله (ويجار من عذاب القبر) أي ينقذ منه بفضل الشهادة والله أعلم.¹

وعن الحسن البصري عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (أفضل شهداء أمتي رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلته في الجنة بين حمزة وجعفر).²

كما أن الشراء له أصل من السنة وذلك أن المسلمين لما أشيع أن قريشا قد قتلت سيدنا عثمان بن عفان غضب صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام وإذ به يدعوهم لمعاهدته وحرب قريش مع قلة عددهم وضالة عدتهم ولذلك سميت هذه البيعة بيعة الموت أو بيعة الشراء أي شراء الجنة والتضحية بالحياة الدنيا "فحق لقلّة منهم إذا بلغوا أربعين شخصاً أن يعلنوا الثورة على الفساد، وبما أن هذه الثورة التي يقوم بها عدد قليل لا يتوقع لها النجاح في كفاحها ضد دولة ظالمة مسلحة وأمة مسالمة راضية بالذل، فإن هذا التنظيم يشبه أن يكون شغباً على دولة ظالمة حتى لا تطمئن على تنفيذ خططها الجائرة.

وقد لا تكون لها نتائج غير هذا القلق الذي يخيم على الظالمين والتوجس والخوف الذي يسود أعمالهم وتحركاتهم ولذلك فقد اشترطت لهذا التنظيم شروطاً قاسية لا يقبلها إلا الفدائيون"³

الفرع الثالث: شروط مسلك الشراء وخصائصه:

- أن يتخذ الفدائي من الجبال والوهاد منزلاً لا يعود إلى منزله إلا من أجل غرض ضروري كالتزود بالسلاح أو التتبع لأخبار الطغاة.

- اجتناب إلحاق الضرر بعامة المسلمين، وخاصة قتل الأطفال، والمسنين والنساء.

¹عبدالله بن حميد السالمي، شرح الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب بن عمر الفراهيدي الأزدي، مكتبة الإمام نور الدين السالمي، ط10، ج3 ص344.

²محمد بن عمرو بن أبي ستة، حاشية الترتيب، ج2، ص290.

³إسماعيل بن صالح الأغبري، دراسة وصفية حول تحفة الأعيان، ط1- 2003، ج1 ص114-115

- عدم التخلي عن رسالتهم إلا بالموت في دين الله.

- أن يكون فيهم ستة رجال كحد أدنى فصاعدا أهلا بأصول الدين والفقه، أي أن يكون فيهم علماء الأصول والفقه، ذوي الورع والصلاح في الدين.¹

-الموت في ساحة المعركة، فلا يجوز للإمام الشاري الهرب أو التخلي عن ميدان المعركة حتى ينتصر أو يقتل في سبيل الله وهذه التسمية أخذوها من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^{2 3}

- عدم إعلان الحرب على السلطة إلا عندما يبلغ الاستبداد طورا لا يمكن احتماله.⁴

- عليهم أن يختاروا قائدهم منهم، وسلطته ملزمة لأتباعه فقط.⁵ فالشراء من أحب الأمور إلى الله عز وجل وإلى المسلمين إن لم يكونوا يقدرون على الظهور، غير أن علماءنا لم يجعلوها في الوجوب والفرض كحال الظهور فمن شاء فليشر نفسه ابتغاء مرضاة الله ومن شاء قام مكتتما بين ظهرائي قومه.⁶

¹ بكير بن الحاج وعلي، الإمامة عند الإباضية بين نظرية والتطبيق مقارنة مع أهل السنة والجماعة. مكتبة الضامري - سلطنة عمان، دط، ج1، ص 325\326.

² التوبة 111

³ مهدي طالب هاشم، الحركة الإباضية في المشرق العربي، دار الحكمة لندن، ط1، ص269.

⁴ غباش، عمان الديمقراطية الإسلامية، مصدر السابق، ص 69

⁵ إبراهيم ابن يوسف، الحكم والسياسة في الإسلام، دن، دط، ص25

⁶ محمد بن شمس البطاشي، غاية المأمول في علم الفروع والأصول، وزارة التراث القومي والثقافة- سلطنة عمان، دط، 1407هـ/1987م، ج9، ص12.

- ليس لهم أن يجاربوا أحدا إلا من يجارهم؛ أو أن يطاردوا المهزوم أو أن يقتلوا الجريح.¹

- لا يحل لهم بعد أن ينخرطوا في هذه المؤسسة أن يعودوا إلى بلادهم، أو يستقروا في أمكنتهم، أو يتخلوا عن رسالتهم، حتى ينتهي بهم الأمر إلى النجاح أو القتل، والقتل أقرب الأمرين إليهم.²

من طريق النمط السابق على حسب شروط مرحلة الشراة وخصائصها نرى أن مرحلة الشراء هي المرحلة التي تحتاج إلى قوة الإيمان بالله تعالى ولو أدى إلى إزهاق الروح، "ولا يعتبر ذلك من الانتحار إذ الانتحار مرض نفسي، أو حالة عصبية، أو خوف من عار، أما الشراء فأصله من روح الإسلام لأجل منع انتهاك محارم الله تعالى، كما أن الانتحار موت محقق والشراة يحتمل فيه النصر وإن كان ضئيلا ويحتمل فيه الهزيمة"³. ولا نرى فيه بأسا ما دام الله أراد ذلك وهو نوع من أنواع نصر الدين، وحفظه عن أعدائه حتى يحسوا أن هناك قوة فوق قوتهم، وهناك من يمكن نزالهم، إذا كان هؤلاء الناس مع قلتهم أفرعوهم ومنعوهم عن الراحة وكيف لذي سلطان عظيم، حتى يكون عبرة لمن كان له قلب.

الفرع الرابع: تطبيق مسلك الشراء في التاريخ الإباضي

1- أبو بلال مرداس بن حدير التميمي:

يعتبر من أبرز قادة المحكمة بعد أحداث النهروان. وكان له دور كبير في نقل أفكار المحكمة إلى البصرة، حيث أصبح في ما بعد المركز الفعال في هذا الأمر. كما أن أبا بلال تتولاه جميع فرق المحكمة الأوائل وتجعله من أبرز أئمتها، خاصة الفرق المعتدلة منها..

¹ النامي ، دراسات عن الإباضية، مصدر السابق، ج 1 ، ص 281

² علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة وهبة- القاهرة- مصر، الطبعة 1138 هـ 1964 م، ج 1، ص 95

³ الأغبري، دراسة وصفية حول تحفة الأعيان مصدر سابق ص 115،

ارتبط أبو بلال في حياته بالزهد والتقوى وحسن السيرة. شهد معركة صفين مع جيش الإمام علي¹ ضد معاوية، ولكنه أنكر التحكيم مع من أنكر وانضم إلى جماعة المحكمة وتحرك مع جماعته فيما بعد إلى حروراء ثم إلى النهروان، ... ثم بعد أحداث النهروان .. رأى أبو بلال أن القتال بين أتباع الدين الواحد لا يصح، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار)،² فانسحب مع نفر من أصحابه نحو البصرة.

كان أبو بلال مرداس بن حدير هو أول من مارس الشراء ، وفكرة الشراء أو الخروج جاءتة حين رأى الضرر الذي يسببه عبید الله بن زياد للمسلمين، فكان تعليقه على الوضع : (إنه والله لا يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين .. والله إن الصبر على هذا لعظيم .. إننا لم نخرج لنفسد في الأرض، ولا لنروع أحدا، ولكن هربا من الظلم ولسنا نقاتل إلا من يقاتلنا ..)³

في هذا الوقت كانت السياسة الأموية الجديدة تضع اعتبارا خاصا لمنطقة جنوب العراق، .. ونظرا للاختلاف بين المحكمة، وبين السياسة الأموية فإن الجماعة بدأت تتجه إلى الثورة قبل ظهور أبي بلال على مسرح الأحداث، وتمتألا كتب طبقات الإباضية بأسماء عديدة كان لهم دور بارز في الثورة ضد الأمويين، وأشهر هؤلاء : فروة بن نوفل، وحوثره، وشبيب، ومعين، وأبو مريم. في ظل هذه الأوضاع ظهر أبو بلال مرداس في البصرة ليمثل نهجا جديدا للعمل ضد الأمويين، والاتجاه صوب الطريق المستقيم، فقد بدأت أفكار أبي بلال في الظهور حينما عاب على أبي مريم مولى الحارث الخروج بالنساء في الثورة ضد الأمويين. وبدأت آراؤه حزبا سريا

¹ هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو الحسن: أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين، وابن عم النبي وصهره، وأحد الشجعان الأبطال، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء، وأول الناس إسلاما بعد خديجة. ولد بمكة، وربى في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفارقه. وولي الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان سنة 35 هـ. قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي غيلة في مؤامرة 17 رمضان المشهورة. الزركلي، الأعلام، مصدر سابق، ج4، ص295.

² صحيح البخاري، باب: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا، رح: 31. السنن الكبرى للبيهقي، باب: النهي عن القتل في الفرقة، رح: 17242.

³ النامي ، دراسات عن الإباضية، مصدر سابق، ج 1 ، ص 279.

منظما، يمثل أصحابه الجماعة المتمسكة بتعاليم الإسلام الصحيحة. فقد دعا أصحابه إلى عدم استعراض بقية المسلمين لأنهم موحدون، لا تحل دماؤهم ولا أموالهم، إلا بعدوان.

وتبدل الأوضاع في البصرة مع الوالي الجديد عبيد الله بن زياد، الذي كان عكس أبيه، فكان أبوه يقتل المعلن ويستصلح المسر، ولكن عبيد الله انتهج سياسة قاسية تجاه جميع الفرق المعارضة للأمويين ومن بينها جماعة المحكمة، فقد قام بحبس أفراد كثيرين من جماعة أبي بلال، ثم أقدم على القبض على أبي بلال وحبسه ثم عفى عنه. ... وقال أبو بلال .(إنه والله ما يسعنا المقام مع هؤلاء الظالمين تجري علينا أحكامهم مجانين للعدل مفارقين للفضل والله إن الصبر على هذا لعظيم).. تحرك أبو بلال ورفاقه خارج البصرة، معلنا استنكاره للأوضاع في المدينة .. وبدأت الأحداث تتجه إلى حتمية الصراع بينه وبين الأمويين.¹

2- محمد بن الحسن الخروصي:

النازل من أودية الرستاق وهو من اليحمد؛ فأبو عبيدة محمد بن روح بن عربي: من تلك الأمة محمد بن الحسن الخروصي ببيع على الشراء فيما بلغنا وكان إماما شاريا ثم إنه اعتزل عن الإمامة وباع أهل عمان من بعده لثمانية أئمة منهم من ببيع على قطع الشرى فيما بلغنا؛ منهم من ببيع على الدفاع.²

3- راشد بن سعيد اليمدي، أبو غسان:

ومن الشراة الذين ذكرهم السالمي³ الإمام راشد بن سعيد الذي تم تنصيبه إماما إثر وفاة الإمام الخليل بن شاذان سنة 425هـ.

¹ محمد قرقرش ، عمان والحركة الإباضية، مكتبة مسقط، ط1، 1410هـ-1990م، (ص 76-77-78)

² عبد الله بن حميد السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، تصحيح وتعليق: أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، مطبعة الشباب، القاهرة، ط2، ج1، ص228.

³ هو عبد الله بن حميد بن سلوم بن عبيد بن خلفان بن خميس السالمي، ولد الإمام سنة 1286هـ، ببلدة الحوقين، وهي من أعمال الرستاق. يعد الإمام السالمي علما بارزا في مسيرة النهضة العلمية والإصلاحية في عصره، فهو لا يعد مصلحا إجتماعيا على مستوى وطنه عمان فحسب، بل على مستوى العالم الإسلامي في بداية القرن الرابع عشر الهجري. كان

وقد بويع في أول الأمر على الشراء، ثم بويع على الدفاع. وقد سار فيهم سيرة أئمة العدل في نصرة الحق وإعلاء كلمة الله.

بسط سلطته على أكثر بلاد عمان، وأخضع الثائرين عليه، وأزال كل ما يؤدي إلى الفتنة. إذ حاول الجمع بين الفرق بسبب الفتنة التي كانت في عهد الصلت بن مالك وراشد بن النضر. وله صولات في رفع راية الحق والعدل.

وتوفي الإمام والناس عنه راضون في شهر محرم سنة 445هـ ودفن في مقبرة الأئمة بنزوى.¹

المطلب الرابع: مسلك الكتمان.

الفرع الأول: التعريف بمسلك الكتمان لغة واصطلاحاً

1- التعريف بلكتمان لغة:

(كتم): الكِتْمَانُ: نَقِيضُ الْإِعْلَانِ كَتَمَ الشَّيْءَ يَكْتُمُهُ كِتْمًا وَكِتْمَانًا وَاكْتَتَمَهُ وَكَتَمَهُ، وَكَاتَمَهُ إِيَاهُ كَكْتَمَهُ: تَعَلَّمَ، وَلَوْ كَاتَمْتَهُ النَّاسَ، أَنَّنِي **عَلَيْكَ، وَلَمْ أَظْلِمَ بِذَلِكَ، عَاتِبْتُ. وقوله: ولم أظلم بذلك، اعتراض بين أن وخبرها، والاسم الكِتْمَةُ. وحكى اللحياني: إنه لحسن الكِتْمَةُ. ورجل كُتِمَ، مثال هُمَزَةٍ، إذا كان يَكْتُمُ سِرَّهُ. وَكَاتَمَنِي سِرَّهُ: كَتَمَهُ عَنِي. ورجل كَاتَمَ لِلْسِرِّ وَكُتُوْمًا. وَسِرُّ كَاتَمٍ أَيْ مَكْتُومٌ؛ عَن كِرَاعٍ. وَمُكْتَمٌ، بِالتَّشْدِيدِ: بُلُغٌ فِي كِتْمَانِهِ. وَاسْتَكْتَمَهُ الْخَبَرُ وَالسِّرُّ: سَأَلَهُ كِتْمَهُ.²

قوي الشخصية، شديد الغيرة والتمسك بالدين.. وكان همه الكبير هو قيام الدولة الإباضية والإمامة في عمان. ترك الإمام السالمي آثاراً علمية قيمة في علوم الشريعة واللغة العربية والتاريخ، وما يزال بعضها منها مخطوطاً. انتقل إلى رحمة الله سنة 1332هـ، بعد ست وأربعين سنة.. محمد صالح والشيباني، معجم أعلام الإباضية قسم المشرق، مصدر سابق، رت: 789، ص272/273.

¹ محمد صالح والشيباني العماني، معجم أعلام الإباضية بالمشرق، مصدر سابق، ص147.

² بن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، المجلد12، ص597

2- التعريف بالكتمان اصطلاحاً:

الكتمان هو "ملازمة الأمر سرا بلا إمام".¹

وقيل: "الكتمان محفظة على الدين، أي وعاء على حفظ الدين، بحيث لو أظهر لعطل عنه ومنع منه؛ فمن ضيع دينه فليس جارياً على حكم الكتمان، كما أنه ليس على الظهور ولا على الشراء ولا على الدفاع".²

فمرحلة "الكتمان" يركز الاباضية نشاطهم على جانبين، الأول: التنظيم الداخلي للمجتمع في المجال الديني والاجتماعي والتربوي والاقتصادي والثاني: العلاقات الخارجية للمجتمع الاباضي بغيره من الطوائف والمذاهب..³ لذلك فالكتمان لا يعني السكوت وعدم الحركة وإنما هو مرحلة إعداد لاستلام السلطة.

الفرع الثاني: تأصيل مسلك الكتمان بالقرآن والحديث والسيرة النبوية الشريفة.

1- في القرآن:

- قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾⁴ ما استطعتم أي ما أطقتم؛ قال قتادة: لما نزلت الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾⁵ ثقلت عليهم، ثم أنزل الله اليسر والتخفيف فنسخها هذه الآية: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ أي ما أطقتم، وحق تقاته أن يطاع الله ولا يعصى، ويذكر ولا ينسى، ﴿وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ وعليها

¹ الدرجيني، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، مصدر السابق، ج 1، ص 5.

² أحمد بن يوسف أطفيش، شرح عقيدة التوحيد، مصدر سابق، ص 197.

³ عدون جهلان، الفكر السياسي، مصدر سابق، ص 165

⁴ التغابن 16

⁵ آل عمران 102

بايع رسول الله على السَّمْع والطَّاعَةِ فيما استطاعوا¹. وذكروا عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ((على المسلم السمع والطاعة فيما أحب وفيما كره ما لم يأمر بمعصية الله، فإن أمر بمعصية الله فلا طاعة في معصية الله)).²

- وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾³ ووسع الإنسان ما لا حرج فيه عليه ولا عسر، لأنه ضد الضيق، ولهذا كانت هذه أوسع مما قبلها وأصلا لهما، فالله لم يكلفنا في دينه وشرعه ما لا طاقة لنا به، ولا يدخل في وسعنا امتثاله بغير عسر ولا حرج، فإذا عرض العسر عروضا بأسبابه العادية كالأضرار لأكل الميتة، والدم المسفوح، والمرض والسفر اللذين يشق فيهما الصوم، واستعمال الماء في الغسل والوضوء، أو يضر ترك الأول بنية القضاء، والثاني إلى التيمم المبيح للصلاة، ولا تترك الصلاة نفسها لعسر أحد شروطها وعدم عسرها في نفسها، وهي لا تعسر من حيث أنها توجه إلى الله تعالى، ومناجاة له بكتابه، وذكره ودعائه، فإن شق على المصلي بعض أفعالها كالقيام، استبدل به القعود، فإن شق عليه القعود صلى مضطجعا أو مستلقيا..⁴ فكيف يكلف الإنسان في مرحلة الكتمان على الظهور، حينما يضيق الإنسان حياته ودينه لا يجد ملجأ إلا إلى الكتمان نصرا لحياته ودينه.

¹ الهواري، تفسير كتاب الله العزيز، دار الغرب الإسلامي، مصدر سابق، ج 4، ص 364

² حديث متفق على صحته. البخاري في كتاب الأحكام باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية رج: 7144، مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية رج: 1839.

³ البقرة 286.

⁴ أحمد بن حمد الخليلي، جواهرُ التفسير أنوار من بيان التنزيل، مكتبة الاستقامة، دط، ج 2، ص 33.

هذه سيرة المسلمين لم ينقم فيه خارجهم على مقيمهم ولا مقيمهم على خارجهم وليس الأمر في ذلك على ما ذهب عليه غالبية الخوارج أن المسلمين لا تسعهم الإقامة مع الجبابة في الكتمان مقصرين أو غير مقصرين قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا¹﴾²

- وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ³﴾. نزلت هذه الآية في أناس من المسلمين، كان كفار مكة يعذبونهم حتى رجعوا عن الإسلام وقلوبهم مطمئنة بالإيمان، فكانت الرخصة لهم فيما نزلت فيهم. فمن أخذه المشركون اليوم، أو السلطان فيخبرونه بين القتل والشرك أو ذنب من معصية الله فاختار القتل ولم يختار الشرك والمعصية ومات على طاعة الله، فإن لم يصبر في العذاب وركن إليهم في المعصية، فمات غير تائب فهو في النار، لأن الله قد نهاه، لأنه قال: ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ⁴﴾⁵ وليست التقية بالعمل.⁵

- وقال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُخَذِرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ⁶﴾. وقال صلى الله عليه وسلم (التقوى هاهنا وأشار إلى صدره ثلاث مرات)... إشارة إلى أن المؤمن محاسب على إيمانه وقلبه والله يعلم السر والعلن، ويعلم المقصد والمضطر، ويعلم الظالم والمظلوم، والظالم حينما أعطاه الله قوة والمظلوم أعطاه الطرق والمخرج، ومن لا يقدر أن يعبد الله ظاهراً فليعبده سرا ويبلغ علمه ودينه وجميع مبادئ الدين سرا.

¹البقرة 286

²محمد بن شامس البطاشي، غاية المأمول في علم الفروع الأصول، وزارة التراث القومي والثقافة، دط، 1407هـ/1987م، ج9، ص12

³سورة النحل آية 106

⁴سورة هود: آية 113

⁵محمد بن الحواري العماني، الدراية وكنز الغناية ومنتهى الغاية وبلوغ الكفاية في تفسير خمسمائة آية، تح: محمد زناطي عبد الرحمن، دن، دط، ج1، ص143.

⁶سورة آل عمران آية 27.

2. في السنة:

قال صلى الله عليه وسلم ((ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم))¹

فأتوا منه ما استطعتم أي ما قدرتم عليه. ومن قواعد أصول الفقه: (لا محرم مع الضرورة، ولا واجب مع العجز) .. فهذه الجملة لها وجهان، فقد يكون المعنى: لا بد أن تقوموا بالواجب بقدر الاستطاعة، وأن لا تتهاونوا ما دتم مستطيعين. ويحتمل أن المعنى لا وجوب إلا مع الاستطاعة، وهذا يؤيده قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾². ولهذا لو أمرت إنسانا بأمر وقال: لا أستطيع، وهو يستطيع لم يسقط عنه الأمر. والإنسان غير مجبر بمعصية الله ولا فعل الأشرار ولا أن يتبع العاصي والأشرار، وكيف يقوم باتباع الكفار أو الفساق، بل يجب عليه كما قال صلى الله عليه وسلم ((من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان))³

"إذا كان المسلمون ليس لهم مقدرة بأمر الإمامة كان أحب الأمور إلى العلماء وأولاهها أن يقيم المسلمون على ما هم عليه من حال الكتمان أو الشراء".⁴

وقال صلى الله عليه وسلم: ((استعينوا على قضاء الحاجات بالكتمان: فإن كل ذي نعمة محسود))⁵

¹ رواه البخاري ومسلم.

² البقرة آية 286.

³ أخرجه الإمام أحمد، ومسلم، والأربعة من حديث طارق بن شهاب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

⁴ البطاشي، غاية المأمول، مصدر سابق، ج9، ص11-12.

⁵ أخرجه الطبراني عن معاذ بن جبل بلفظ (الحوائج) يدل (الحاجات) المعجم الأوسط للطبراني-باب الالف باب من اسمه إبراهيم-حديث 2500.

"وقد أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم برهة من الزمان بمكة بعد ما نزل عليه الوحي مكتما غير ظاهر"¹

"..وكذلك استنادا إلى مسلك النبي صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم بمكة قبل تمام الأربعين إذ أنه لم يظهر إلا بعد إسلام عمر بن الخطاب الذي يمثل قوة معنوية كبيرة للإسلام..²"
"..لما أرى الذين دخلوا في الإسلام على ثلاثين- ما بين رجل وامرأة - اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم دار أحدهم، وهو الأرقم بن أبي الأرقم، ليلتقي بهم فيها لحاجات الإرشاد والتعليم..³"

.. فإذا لم يكن إمام عدل رجع الناس إلى الصالحين وخيار المسلمين الذين هم أعلام الدين الذين قال لهم الله ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾⁴ وقال ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾⁵ وهذا الموضع الذي فيه رد أمر المسلمين ليحيا به الدين، وأنهم كانوا قد استغنوا بأئمة العدل في جميع أحكامهم، فلما اضمحلوا وصاروا في الأرض ليس فيها إمام عدل واحتاج الناس إلى وصايا الموتى في إنفاذها، والقيام للأغيا ب واليتامى والفرائض للأولاد وغير ذلك، وإقسام ما بينهم، وإنصاف الناس في حقوقهم. فلما لم يكن حاكم عدل رأينا أن يجتمع في ذلك عدول المسلمين من أهل العلم والفضل..⁶

¹ البطاشي، غاية المأمول ، مصدر سابق، ج9، ص12.

² بالحاج وعلي، الإمامة عند الإباضية بين نظرية والتطبيق مقارنة مع أهل السنة والجماعة، دط، ج1، ص330.

³ 40- محمد بن سعيد بن رمضان البوطي، فقه السيرة، مطبعة جامعة دمشق، ط6، منشورات جامعة دمشق سنة 1416-17هـ/1996-97م، ص80.

⁴ النساء135.

⁵ البقرة251.

⁶ علي بن محمد البسيوي، جامع أبي الحسن البسيوي، تح: سليمان بن إبراهيم بابيز الوارجلاني ودود بن عمر بابيز الوارجلاني ، دط، مجلد3، ص2089-2090.

الفرع الثالث: شروط مسلك الكتمان وخصائصه.

1- شروط مسلك الكتمان:

- تفتقر القوة، وتضعف النفوس، فيعجز المسلمون عن رد المظالم وانكار المنكر- إلا بالقلب- فترضى الأمة بالواقع وتستسلم لحكم الجبابة ولا تجد سبيلا للثورة ضد الحكم.¹ يقررون مبدأ القعود عن الثورة وسموا ذلك مسلك الكتمان حيث لا يجيزون الخروج إلا إذا صار عددهم نصف عدد العدو وكذا العدة والطاقة.²

2- خصائص مرحلة الكتمان:

من خصائص الكتمان كما يلي:

أولاً- عدم وجود جبر ولا قهر إذ لا حول ولا قوة فيما بينهم.³ منها مسألة العبادات ، كالزكاة وأمثالها، في أيام الكتمان فيكسب صاحبها العار والنار والإثم فيما بينه وبين الله تعالى، وحسابه عند الله تعالى، وأما الأمور التي يلتزمون فيما بينهم وبين الله كالعواقل، مثل قتل الخطأ، إنما الدية على عاقلته، إذا حكمتها الحكام، وإن لم يحكمها الحكام، فليس عليه منها شيء، وحسابه أيضا عند الله.⁴

¹ عدون جهلان، الفكر السياسي عند الإباضية، مصدر سابق، ص164.

² فرحات بن علي الجعبري، البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، جمعية التراث- القرارة- الجزائر، دط1، 1408هـ/1987م، ج1، ص50.

³ يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، الدليل والبرهان، تح: سالم بن حمد الحارثي، وزارة التراث القومي والثقافة- سلطنة عمان، دط، ج3، ص97.

⁴ الوارجلاني، الدليل والبرهان، مصدر نفسه ، ص100/101

ثانيا- "انحسار أي توقف النشاط السياسي للحركة في الكتمان، الذي يقتصر عندئذ، أي يكون خاصا على الشؤون الدينية حصرا، ولا يمنع للعلماء البقاء على الصلة في ما بينهم لدراسة وتبادل الآراء".¹ وهي الفرصة الوحيدة لتقوية الضمائر والعقيدة الراسخة.

ثالثا- ومن خصائص الكتمان أن يبتعد المؤمنون عن مساعدة الظالمين بتولي وظائف الظلمة، وأن تتولى شئوئهم جمعيات تنشر فيهم المعرفة والثقافة الإسلامية التي تبصرهم بدين الله.² لا شك أن مرحلة الكتمان هي مرحلة أشد ضعفا ووهنا، وأكثر حذرا وتنظيما عاليا في الخطط، مع كثير من الحركات السرية النظامية لأن الظروف لا تقبل إلا ذلك من حيث يعبد الله سرا.

لهذا على المسلمين أن يجدوا النظام الذي سيؤمن مستقبلهم مع أهداف مرسومة مخطوطة، خطوة خطوة واهتمام بالعلم والآداب والعبادات على حسب الظروف، وتعليم الأبناء مبادئ الإسلام والعقيدة، والورع، والتقى، والأخلاق، لئلا يكونوا أسيرين للسلطات الباغية الظالمة. لذلك قد نسمي هذه المرحلة مرحلة العبور أي طريقة إلى الظهور حين سلمت الظروف بأي وسيلة وفي أي وقت.

3- تحديد وقت الكتمان:

"..يقول علماء الإباضية إن مرحلة الكتمان في عقيدتهم مستمدة من حياة النبي؛ لكنهم يختلفون في تحديد فترة التكنم في حياة النبي. ووفقا للشيخ محمد بن يوسف اطفيش، فإنها الفترة الواقعة بين بداية الوحي حتى وقت وصول عدد المسلمين أربعين ، حين أعلن عمر بن الخطاب دخوله في الإسلام. ويعتبر أبو سليمان داود بن إبراهيم التلاقي أن الفترة التي سبقت

¹ غباش ، عمان الديمقراطية الإسلامية، مصدر سابق، ص 92

² بكير بن سعيد أعوش، دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، مطبعة البعث، قسنطينة - الجزائر، ط1، 1402هـ/1982م، ج1 ص110. (نقلا عن الإباضية في موكب التاريخ - ص: 93 - 96).

هجرة النبي عليه السلام إلى المدينة هي كلها فترة كتمان أما أبو عمار عبد الكافي،¹ فيقول: ((إن النبي بقي متكئاً في مكة بعض الوقت بعد نزول الوحي)) والظاهر أنه قصد بذلك فترة سنوات ثلاث من النبوة قبل نزول قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾². وعلى أي حال ذلك كان الأساس الذي قدمه الإباضيون دليلاً على الكتمان كواجب ديني في القرآن".³

وإذا رجعنا إلى تعريف الكتمان نجد أن الأمة الإسلامية تكون في حال ضعف وعدم قدرة على تنفيذ أحكام الله تعالى علانية ورد المناكير التي يفعل عليهم، وبنسبة تحديد وقت الكتمان في العهد المكي فمئل إلى أن كل فترة المكينة كانت في الكتمان لأن المسلمين لم يكن لديهم حرية تامة على تنفيذ شعائر الإسلام، وصيحات العذاب كانت تصيح من هنا وهناك، وضاق عليهم الأمر حتى بلغ إلى أن يهجروا إلى الحبشة مرتين سراً ثم إلى المدينة، وكل هذا كان بحثاً عن مكان آمن وجو مناسب لاستقرار مع إيمانهم وتنفيذ أحكام دينهم.

الفرع الرابع: تطبيق مسلك الكتمان في التاريخ الإباضي :

1- جابر بن زيد الأزدي:

هو أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي الجوفي البصري ،من قبيلة اليعمد الأزدية في عمان. وقد عرف بالجوفي نسبة إلى درب الجوف بالبصرة حيث استقر مع أسرته فيما بعد.

¹ هو أبو عمار عبد الكافي بن أبي يعقوب التناوتي ، عاش في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) في مدينة وارجلان، وكانت آنذاك مركز علميا ودينيا، ولا يعرف على وجه الدقة تاريخ وفاته، ولكنه يرجح أنها كانت قبل سنة 570هـ/1174م، وترك كثير من المؤلفات وكان عالماً بالمنطق وعلوم الكلام واللسان والعمل. سير أبي عمار عبد الكافي (ت 6هـ/12)، مكتبة الضامري للنشر، سلطنة عمان، ط1، 1416هـ/1996م ص5-6.

² الهجرة 94

³ النامي، دراسات عن الإباضية مصدر السابق، ص281.

ولد جابر في مدينة الفرق بالقرب من مدينة نزوى في عمان . وتسمى منطقة الفرق باسم جوف الحميلة ، ولعل درب الجوف سمي باسمها .

اختلفت المصادر عن تاريخ ولادته بين عامي 18 و 22هـ، والظاهر على أنه تقدم إلى البصرة في وقت مبكر من حياته طلبا للعلم¹.

تعلم رحمه الله على يدي كبار الصحابة رضوان الله عليهم، ويقول عن نفسه "أدركت سبعين بدريا فحويت ما عندهم إلا البحر" ويعني بالبحر ابن عباس، ومن ضمن من تلقى عندهم: "عبد الله بن عباس فقد أكثر من الحمل عنه، وعبد الله بن عمر، وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وكثير من الصحابة"².

وقد قال ابن عباس " (اسألوا جابر بن زيد، فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه). وقال إياس بن معاوية : ما رأيت البصرة وما فيها مفت غير جابر بن زيد . وقال الحصين: لما مات جابر بن زيد وبلغ موته أنس بن مالك قال: مات أعلم من على ظهر الأرض. ولما مات جابر ودفن قال قتادة: ادنوني من قبره ، فقال : اليوم مات عالم العرب ، وعن ابن عباس قال عجباً لأهل العراق كيف يحتاجون إلينا وعندهم جابر بن زيد لو قصدوه لوسعهم علمه. "أخذ عنه : قتادة ، وعمرو بن دينار وأيوب وخلق"

و"كان رحمه الله ضريرا قوي الذاكرة والذكاء ، شديد اليقظة على تطورات قومه بعمان ، فقد عمل كثيرا على إعادة الإمامة إلى القطر العماني³.

"هو المؤسس الحقيقي لدعوة - الإباضية - والمنظم الأول لحركتهم في المذهب الإباضي، وهو أول من رود حركته بالكتمان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، قام بنشر الفكر الإباضي

¹ عوض خليفة ، نشأة الحركة الإباضية، مصدر السابق، ص 86-87.

² معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية، مصدر السابق. ج 1 ص 140 - 141.

³ معمر، مصدر سابق، ج 1، ص 140 - 141.

وفي تنظيم الدعوة في مرحلة الكتمان. وهو أقدم إمام من أئمة المذاهب المعروفة .. وتوفي رحمة الله سنة 93 هجرية على القول المشهور¹.

وكون جابر مؤسساً لهذه الحركة لا يعني أنها لم تكن موجودة من قبله بل هي امتداد لحركة التحكيم ومن فكرة أهل النهروان واستشهده من أجلها الكثير، وإنما التأسيس هنا يعني: التنظيم لهذه الحركة للكتمان حتى تستمر إلى الظهور.

3 - أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة:

عاش الإمام أبو عبيدة وطبق مرحلة الكتمان والمجالس السرية بعد زمن الرسول وأصحابه وزمن جابر مع أنه معاصر له.

"هو أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة البصري التميمي بالولاء، مولى عروة بن أديّة التميمي، أخي مرداس بن أديّة، ولد في البصرة ونشأ وعاش فيها، ويقال: أن أبا عبيدة كان زنجياً أسود اللون أعور فقيراً وكان يقتات بعمل السعف يصنع منها قفافاً فلقب بالقفاف ولكن بعلمه وعقله وفقهه كان شديد البيض. وقد أدرك كثيراً ممن أخذ عنه جابر واستقى من مناهلهم رضي الله عنهم جميعاً"².

أما ميلاده: لم يظبط ميلاده في تاريخ محدد ومنضبط ومتفق عليه، بل (ثبت وجوده عام ثمانية وخمسين للهجرة) في دولة معاوية بن أبي سفيان (60هـ)، ويحتمل أن يكون عمره آنذاك قرابة الثلاثة عشر عاماً، على ما ذهبنا إليه من إمكانية احتمال ولادته عام خمسة وأربعين هجرية.³

¹ عوض خليفة، نشأة الحركة الإباضية، مصدر سابق، ص 86-87.

² مبارك بن عبد الله بن حامد الراشدي، إمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، دن، ط 1 ص 25

³ الراشدي، مصدر سابق، ص 25.

وأخذ العلم عن شيوخه الأجلاء مثل صحرار بن العباس العبدي وهو صحابي، وجابر بن زيد، وجعفر بن السماك ، وهما من التابعين، وضممام بن السائب العبدي العماني، وهم أشهر علماء الإباضية في مرحلة الكتمان.¹

قام أبو عبيدة بتطوير تنظيمات المجالس السرية و أعمالها التي كانت تقام في البصرة و تضم مشايخ الدعوة و أتباعها حيث يتداولون فيها خططهم و يتعلمون فيها مبادئ عقيدتهم وما يمت إلى دعوتهم بصلة سواء في النواحي الدينية أو الدنيوية.

و على الرغم من وجود هذه المجالس السرية منذ الأيام الأولى لقيام حركة القعدة فإن الفضل يعود للإمام أبي عبيدة في توضيح معالم هذه المجالس و تصنيف وظائفها و ترتيب طبقاتها. وقد تطور أبو عبيدة هذه المجالس إلى ثلاثة مجالس:

الأول: المجالس العامة: وهي التي لم تكن مقصورة على جماعة معينة بل إن دخولها مباح لأي شخص من أهل الدعوة.

الثاني: مجالس المشايخ: ويحضرها زعماء الإباضية فقط. وفي هذه المجالس تقرر السياسة التي يجب على أهل الدعوة اتباعها. و كان مجلس المشايخ عبارة عن مجلس تخطيط و تنظيم لحركة ثورية سرية. ولا يجوز لأحد غير الامام وكبار المشايخ حضور هذه المجالس.

الثالث: مجالس أو مدارس حملة العلم: حيث كان الدعاة من مختلف الأمصار يتلقون العلم وأصول الدعوة و تعاليمها مباشرة عن الامام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي الذي أقام مدرسة لهذه الغاية في سرداب أرضي لا يعرفه إلا الدعاة (حملة العلم) و شيوخ الإباضية البارزين الموثوقين.²

وقد أدرك أبو عبيدة من أدركه جابر بن زيد، فروايته عن جابر، رواية تابعي. وقد روى أبو عبيدة عن جابر بن عبد الله وأنس بن مالك وأبي هريرة، وابن عباس، وأبي سعيد الخدري،

¹ خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ،مصدر السابق ، ص103.

² خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ،مصدر نفسه، ص106-108.

وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنه الله عنها. وروايته هذه عنهم موجودة بعضها في المسند الصحيح. وهي رواية تابعي عن صحابي.

تلاميذه: وحمل العلم عن أبي عبيدة خلف كثير منهم الربيع بن حبيب الفراهيدي صاحب المسند وفيهم (حملة هذا العلم إلى المغرب) وهم: أبو الخطاب المعافري، وعبد الرحمن بن رستم، وعاصم السدراي وإسماعيل بن درار الغدامسي، وأبو داود القبلي النفزاوي، وتوفي رحمه الله في ولاية أبي جعفر المنصور (المتوفي 158)¹

وبالعموم دخلت الحركة الإباضية، أكثر من مرة في التاريخ العماني، مرحلة الكتمان. فقد دخلتها، للمرة الأولى، بعد سقوط إمامتها الأولى، إمامة الجلندي بن مسعود بين 132 و135هـ وامتدت مرحلة الكتمان آنذاك، حوالي أربعين سنة، أي حتى 177هـ/793م. وفي العصر الحديث عاشت الحركة في حالة الكتمان بعد سقوط إمامة عزان بن قيس (1868-1881) حتى إعلان إمامة الخروصي (1913-1919)².

وأما المغرب فقد دخل الكتمان منذ سقوط دولة الرستمية سنة 296هـ إلى اليوم لم تقم عندهم الدولة مع وجود بعض الحركات التي كانت تسعى إلى ذلك.

¹ معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية مصدر سابق، ج 1 ص 140.

² غباش، عمان الديمقراطية الإسلامية، مصدر السابق، ص 98.

خلاصة الفصل الثاني :

بعد ما رأينا مفهوم مسالك الدين الأربعة والحاجة إليها، أدركنا أهمية هذه المسالك في المجتمع والدولة، وما ظهر على أيدينا هو أن الفهم الدقيق لهذه المسالك يضمن لنا بقاء الدين على سلامته، ونستطيع حفظ الأنفس عن التهلكة .

ورأينا أن المجتمع الإسلامي إما أن يكون ظاهرا على أعدائه حرا في أراضيه مستقلا بأحكامه، عاملا بكتاب الله وسنة رسوله. منفذا لأحكام الدين، لا يخضع لأجنبي بوجه من الوجوه، ولا يستبد به حاكم، ولا يطغى عليهم ذو سلطان، فهذه الحالة هي حالة الظهور، وعليها تكون الامة على الخير.

وإذا انحدر المسلمون عن هذا المقام، وتضاءلوا عن هذا الشرف، وجب حينئذ أن يقف المسلمون في طريق الدولة الباغية، يأمرونها بالمعروف، وينهونها عن المنكر، ويلزمونها أن تسلك بهم طريق الصواب، فإذا اعتزت بالإثم، واستمرت طعم الظلم، واستكبرت عن أمر الله، وأبت أن ترجع إلى سبيل الله فحينئذ يأتي القسم الثاني من التنظيم الإسلامي وهو الدفاع، ويعبر عنه في العصر الحاضر بالثورة الداخلية، وصورة أخرى للدفاع أن يهاجم العدو أو المستعمر بلاد المسلمين، فالمسلمون آنذاك أن يدافعوا عنهم ذلك العدو بما عندهم من الطاقة وبقدر استطاعتهم.

فاذا ضعف المسلمون حتى عن هذا الموقف الثوري وتمكن الطاغية أن يثبت مخالفه عليهم فيأتي المسلك الثالث من مسالك الدين وهو أن يبيع الشاري نفسه في سبيل الله وأن يبيع على التفاني في ذلك إلى استشهاد، فلا سبيل إلى الرجوع إلى الحياة العادية التي يألفها المسلم، لأن الهدف هو عدم إعطاء الفرصة للعدو حتى يتمكن من تنفيذ برامجه الجائرة .

وإذا جرى عليه حكم الطغاة ، ولم يقم فيها من يثور لكرامة الإسلام المهدورة، ولشرف الرسالة، أصبحت أمة تحت التنظيم الأخير الكتمان، وعلى المسلمين في هذا الحال أن يتولوا

شؤونهم جمعيات ينشر فيهم المعرفة والثقافة الإسلامية التي تبصرهم بدين الله إلى أن يظهر الله دينه.

بعد جولة مريحة مع مسالك الدين، وبعض من التاريخ الإباضي الأخير اكتشفنا أن ما عندهم أعظم بكثير، إذ أنهم رغم الأزمات والملاحقات استطاعوا أن يقيموا دين الله على الأرض، وإن ظهر بسقوط دولهم العادلة من قبل المفسدين الذين كانوا دائما في المرصاد، ولكن بالحقيقة لم يسقط قط من قلوبهم، والفضل يعود إلى علمائهم الراسخين الذين تمسكوا بكتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم واستناروا بنوره ليدركوا مقاصد لهذا الدين الحنيف.

هذا ما استطعنا أن نجتمع في هذا الفصل، ويمكن أن نقول لدينا الكثير مما يمكن أن نقتدي به من هؤلاء الأخير، ولدينا الكثير مما يمكن أن نكتشفه في فصل آت في قضية العزابة وأسرارهم في تنظيم المجتمع الإباضي بالمغرب.

الفصل الثالث:

المسلك المعاصر وتنظيم المجتمع فيه.

المبحث الأول: العزابة مفهومها، ونشأتها، وتنظيمها، وأثرها في المجتمع.

المبحث الثاني: زنجبار تاريخها وبداية وجود الإباضية فيها.

المبحث الثالث: زنجبار سياسيا وأثر مسالك الدين فيها.

الفصل الثالث: المسلك المعاصر وتنظيم المجتمع فيه:

تمهيد:

نفتتح هذا الفصل بالمناقشة التي أوردها علي يحيى معمر في كتابه الإباضية في موكب التاريخ لما اختلف أبو بكر الزواغي¹ وأبو زكرياء في تحديد المسلك الذي هم فيه فيقول: "كان أبو بكر الزواغي من أشد القائمين على الظلم المنتقدين على الوضع الفاسد الذي كانت الأمة الإسلامية تعيشه في ذلك الحين فكان يقول في مجالسه (لسنا في ظهور ولا دفاع ولا شراء ولا كتمان ولكن زماننا سائب).

وبلغت الكلمة إلى أبي زكرياء فخشي أن يفهم الناس أن الزمان السائب مسلك خامس من مسالك الدين فقال للذين نقلوا إليه كلمة أبي بكر أخبروا أبا بكر أن مسالك الدين أربعة فقط الظهور والدفاع والشراء والكتمان.²

ويظهر في هذه المناقشة أن أبا زكرياء يرفض وجود مسلك خامس مهما كانت الظروف، ولكن لما فُقدت بعض الشروط لمسلك الكتمان تنبه أبو بكر الزواغي على عدم تناسب مصطلح الكتمان بمعنى الكلمة، نظرا لظروفهم إذ أن "...جربة في ذلك الحين لم تكن خاضعة لدولة عادلة ولا ظالمة وليست في حال ثورة فعلية على عهد ظالم وليس فيها فدائيون يحاربون ألوان الظلم والجبروت، والناس مع هذه الحالة المائجة لا يحرصون على أداء شعائهم والمحافظة

¹ هو أبو بكر بن يحيى الزواغي النميلي (قتل: 431هـ/1039م) عالم من عزابة .. الذين استقدمهم أبو عبد الله محمد بن بكر - واضع نظام العزابة - إلى أريغ جنوب الجزائر. وله آراء عقديّة وفتاوى، وآراء في السياسة الشرعية، ومناظرات مع عزابة زمانه، وتفسير بعض الآيات القرآنية وهو من بين المؤلفين السبعة لديوان الأشياخ ب((غار أجماج)). كان يدرس الأصول بجرية إلى جوار أبي محمد ويسلاني.. مجموعة الباحثين، معجم أعلام الإباضية قسم الغرب، مصدر سابق، رت: 189، ص179.

² علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، الإباضية في تونس، مصدر سابق، ص508
ص507.

على دينهم واجتناب ما نهى الله عنه..¹ففي مثل هذه الظروف تتشكل لدى كثير من الناس إشكالية تحديد المسلك المعاصر، فنحن سنحاول في هذا الفصل تحديد المسلك المعاصر حتى يخرج القارئ بنظرة واضحة عن هذا المسلك.

مفهوم المسلك المعاصر:

إذا تكلمنا عن المسلك المعاصر فنحن نقصد بالمسلك الذي يمارسه الإباضية في واقعهم هذا، فبعد سقوط الدولة الرستمية وبعد ملاحقات شديدة وعدم إمكانية إقامة دولة عادلة لجأ إباضية المغرب إلى مسلك الكتمان، فتطور هذا المسلك إلى حلقة العزابة والآن لديهم تفتح واسع على الدعوة وإظهار آرائهم، وكثير من الطوائف الإسلامية تعترف بفضلهم بعد أن كانوا ينكروهم. هل نسمي هذا التطور من مسلك الكتمان بمسلك خامس أو لا يمكن تحديد مسلك آخر بعد هذه المسالك الأربعة ؟

والجواب في هذا السؤال كما يلي:

الإباضية في الكتمان حالتان:

الحالة الأولى: الكتمان الخفي: ويكون " التستر المتطرف والانعزال التام وهي شبيهة بحالة القعود مثل ما كان عليه الإمام جابر بن زيد وأبو عبيدة مسلم في العراق، وأبو الربيع سليمان بن يخلف النفطي (ق 5هـ) ومن عاصره في الجريد حيث كانوا يبالغون في اختفائهم، نظراً للظروف القاسية في زمانهم."²

¹ معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، مصدر سابق، ص508

²عدون جهلان، الفكر السياسي عند الإباضية مصدر سابق ص107

والحالة الثانية: الكتمان الظاهر، وهو الكتمان المعتدل أو الظاهر حيث يتمتع فيه الاباضية بحرية الرأي وإظهار نشاطهم بين الأمم، إلا أنهم يعجزون عن إقامة دولة مستقلة لهم ولا يرغبون في ذلك. ومثال هذا النوع حالة إباطية شمال إفريقيا بعد سقوط الدولة الرستمية.¹

ففي هذين النوعين من مراحل الكتمان، الإباطية يتصفون بالتنظيم الداخلي للمجتمع في المجال الديني والاجتماعي والتربوي والاقتصادي أو بناء العلاقات الخارجية للمجتمع الإباطي بغيره من الطوائف والمذاهب.²

ويمكن أن تظهر حالة ثالثة وهي التي ذكرها أبو بكر الزواغي في قوله " السائب " ويعني عدم وجود تنظيم معين في هذه المرحلة إلا مجهود فردي، وما يظهر لنا لا يمكن أن نعطي اسما جديدا لهذه الحالة لأن الإباطية في حالة الكتمان يسعون إلى إصلاح المجتمع وثقافته ولو كان بجهد فردي.

فبهذا النظر يمكن لنا أن نقول إن الإباطية الآن في مرحلة الكتمان الظاهر كما قسمناه آنفا نظرا لشروطها وموقفهم فيها.

وبعد تحديد المسلك الذي يمارسه الإباطية الآن فنحن بحاجة ماسة لمعرفة تنظيم المجتمع الإباطي في مسلك الكتمان، وسنلقي الضوء على حلقة العزابة ودورها في المجتمع الإباطي في هذه المرحلة، ثم نلتفت إلى إباطية زنجبار وحركتهم في هذا المسلك.

¹ عدون جهلان، الفكر السياسي عند الإباطية ، مصدر سابق، ص 107

² عدون جهلان، مصدر نفسه ص 173

المبحث الأول: العزابة مفهومها، ونشأتها، وتنظيمها، وأثرها في المجتمع

نعالج في هذا المبحث حول المفهوم العام لحلقة العزابة ، ونشأتها وأسبابها وأثرها في المجتمع منذ نشأتها إلى يومنا هذا.

المطلب الأول: مفهوم حلقة العزابة لغة واصطلاحاً.

يفهم حلقة العزابة في اللغة واصطلاحاً كما يأتي:

الفرع الأول: لغة:

الحلقة: ج حَلَق وحلقات هي كل مستدير، كحلقة الحديد أو الدرع أو السلاح أو الحبل "وحلقة القوم" دائرتهم "والحلقة الدراسية": صف ذو نظام خاص، يغلب وجوده في الجامعات، يجتمع فيه الطلاب بإشراف أحد الأساتذة للبحث في بعض القضايا أو لمناقشتها¹.

العزابة: من عزب يعزب، أي غاب وخفي وبعد.² وعزب يعزُب ويعزِب: عزوباً بعد، وغاب، وعزَّب تعزيباً أهمل ما ابتدأ به. وعزَّبه: أبعده.³

¹ جبران مسعود، الرائد، مصدر سابق، ج 1 ص 586

² عيسى بن سليمان السعودي ، حلقة العزابة إنشاؤها-هيكلتها- الهيئات المرتبطة بها، المطبعة العربية -غرداية، دط، 1431هـ/2010م، ص 10.

³ جبران مسعود، مصدر نفسه، ج 2 ص 1020

الفرع الثاني: اصطلاحاً:

حلقة: في الاصطلاح جماعة من الطلبة يستديرون أمام شيخ أو عالم ليتلقوا منه العلم والمعرفة.¹ أو: هو اسم لجماعة تشتمل على الشيخ يعلمهم العلم ويلقنهم السير ويبصرهم في الدين بحسب ما يفتح الله على كل واحد منهم.²

والمجلس: هو مرادف للحلقة في الاصطلاح لا في اللفظ فإنه يصح أن نقول حلقة العزابة أو مجلس العزابة.

وللحلقة أو المجلس تنظيمات خاصة ومسؤوليات متعددة تعرف بالسير وتنسب للعزابة فنقول: "سير العزابة" ويجب عليهم أن يلتزموا بما جاء فيها من أوامر وإرشادات وتوجيهات.

والعزابة: اصطلاحاً: هو الابتعاد عن الدنيا والزهد عنها وعدم الرغبة في متاعها والغياب عنها والتوجه للعبادة والتنسك.³

ويرى البعض أن لفظة "العزابة" كلمة معربة عن لفظ "اعز ابن" البربرية، وتعني العزلة والانفراد.⁴ ورؤد عليه.

¹ السعودي، حلقة العزابة إنشائها- هيكلتها- الهيئات المرتبطة بها، مصدر سابق، ص10

² بكير بن سعيد أعوش، وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية، ص92 نقلا عن الدرجيني.

³ السعودي، مصدر نفسه، ص10.

⁴ عبد الرحمن عثمان حجازي، الفكر التربوي الأباضي في الشمال الإفريقي، المكتبة العصرية صيدا-بيروت، ط1، 1421هـ-2000م، ص146، "نقلا. خليفات، محمد عوض: التربية عند الاباضية، ص96.

- وعزابة عند الشاوية الأمازغية شرق الجزائر في باتنة تعني "رعاة الغنم في التل". حاج أحمد بن حمو كروم عضو حلقة العزابة وأستاذ معهد عمي سعيد للدراسات الإسلامية والحضارية، غرداية - الجزائر.

نظام العزابة: يمثل العزابة النظام الإداري الذي يتولى شؤون المجتمع الإباضي في مرحلة الكتمان، وهو يتولى قيادة المجتمع في مرحلة الظهور، إنه يشبه حكومة سرية تنتظر أن تسنح الفرصة لتتولى الحكم.

اشتقت كلمة العزابة من العزوب أو المعزابة، وتعني كلمة العزوب "العزلة والغربة والتصوف والتهجد، والانقطاع في رؤوس الجبال، ويقصد بها في هذا الاستعمال الانقطاع إلى خدمة المصلحة العامة والإعراض عن حظوظ النفس، والبعد عن مشاكل الحياة من أهل ومال وولد، فإن العزابي لا يعطي لهؤلاء من جهده ووقته إلا القليل، أما أعظم طاقاته فيجب أن يصرفها لله في خدمة المسلمين دون مقابل يتقاضاه على عمله، أو أجر يرجوه منهم لأن أجره وحسابه على الله"¹

مفهوم العزابة عموماً: العزابة هيئة محدودة العدد، تمثل خيرة أهل البلد علماً وصلاًحاً. وهذه الهيئة تقوم بالإشراف الكامل في جميع شؤون الحياة في المجتمع الإباضي: الدينية، التعليمية، الاجتماعية والسياسية.²

المطلب الثاني: نشأة حلقة العزابة وأسبابها.

لقد نشأت حلقة العزابة عند مذهب الإباضية في المغرب منذ القديم من قبل المشايخ بأسباب مختلفة، "وكان أبو عبد الله .. أول من ألهم سلوك الطريقة التي حفظ الله بها هذا المذهب، فرسم المهمل، وقيد الشارد، فامتاز طريق الصلاح من طريق الفساد، ووضح طريق الغي وطريق الرشاد، قرأ على كل من الشيخين أبي نوح سعيد بن زنگيل،³

¹ معمر، الإباضية في موكب التاريخ نشأة المذهب الإباضي، مصدر سابق ص79.

² معمر، مصدر نفسه، ص79.

³ هو أحد أقطاب العلم عند إباضية المغرب، نشأ وسكن بالجريد بتونس، ثم استوطن وارجلان بالجزائر. أخذ علمه عن الإمامين الكبيرين: أبي القاسم يزيد بن مخلد، وأبي خزر يغلا بن زلتاف. برع في علوم الفصاحة والبيان وفنون الجدل والردّ

وأبي زكرياء بن أبي مسور¹ وغيرهما، رحمهم الله ، وكانت لكل واحد منهما به عناية، وله فيه حسن نظر..² وقد عمل به في ليبيا جبل نفوسة، وتونس جربة حتى تطورت وبقيت إلى يومنا هذا في وادي مزاب ووارجلان بالجزائر.

الفرع الأول: نشأة حلقة العزابة.

لقد ظل العلماء الإباضية بالمغرب يتربعون طيلة القرن الرابع هـ: (العاشر م) انتصار ثورة من ثوراتهم، غير أن هذه الأمنية لم تتحقق، واستمر دعائهم في نشاطهم في تثبيت أهل الدعوة على مبادئهم، ريثما يستقر رأي من الآراء، ولم يكن هذا التفكير جماعيا، غير أن كل جماعة في جربة أو غيرها، ظلت تفكر من ناحيتها، إلى أن انبثقت الفكرة من أبي زكرياء فصيل بن أبي مسور اليهراسني، فلما رجع إلى جربة ، ليعين والده أبا مسور وفي نفس الوقت تولى زعامة الجزيرة بعد موت والده، فكر طويلا في موضوع هذا النظام ، ثم أرسل ولديه زكرياء ويونس وابن أخته أبي بكر بن يحيى وغيرهم من أقاربه في جماعة من الطلبة إلى تلميذه أبي عبد الله

على المخالفين، كانت له مناظرات مشهورة، خصَّ بها علماء المعتزلة والنُّكَّار، على حدِّ سواء، فكان كثير التنقُّل يدعو إلى مذهب الإباضية الوهبية. شارك في معركة باغاي مع شيخه، وصاحبه في آن واحد أبو خزر يغلا بن زلتاف سنة 358هـ/969م، ضدَّ المعزِّ لدين الله رابع الخلفاء الفاطميين ببلاد المغرب .. إلا أن الثورة لم تحقِّق أهدافها المرجوة.. مجموعة الباحثين، معجم أعلام الإباضية قسم المغرب، مصدر سابق، ج3، رت: 390، ص366/364.

¹ هو أبو زكرياء فصيل بن أبي مسور اليهراسني (ت بين: 420-440 هـ / 1029-1048م) من أفذاذ العلماء بجزيرة جربة في تونس. ولد بمدينة نفوسة. تلقى العلم عن أبيه أبي مسور يسجا بجربة، ثمَّ عن الشيخ أبي خزر يغلى بن زلتاف بإفريقية، فصار عالما فقيها..ولقد فكَّر في تأسيس نظام يحفظ أمان وبقاء الإباضية، فاختار لتجسيد الفكرة تلميذه أبا عبد الله محمد بن بكر، الذي قام بتقنين هذا النظام وتأسيسه، فأطلق عليه تسمية نظام العزَّابة. توفيَّ رحمه الله بين سنة 420 و440هـ/1028-1048م. معجم أعلام الإباضية قسم المغرب ، مصدر نفسه، ج4، رت: 734، ص778/777.

²الدرجني ، طبقات المشائخ بالمغرب، مصدر سابق، ج1 ، ص171.

محمد بن بكر سنة 408هـ: 1017-1018م وألح عليهم أن يطلبوا منه سن نظام يتماشى مع الكتمان.¹

لبي أبو عبد الله رغبة الطلبة بعد إلحاح شديد، ولما سمع مقولة شخص يقول لصاحبه: "اجعلها لله لا تخب" فكانت كلمة مناسبة عند الطلبة لإرضائه، فما كان منه إلا أن قبل، إلا أنه اشترط أول الأمر أن يتركوه وشأنه، ووفى أبو عبد الله بوعده، وأسس الحلقة بمسجد المنية، سنة 408هـ: 1017-1018م. بفضل تحريض أبي زكرياء وسموه بالسيرة المسورية البكرية نسبة إليهما وأسس نظاما لم يسبق له مثيل، يمكنه من القيام بعبء التدريس ويتماشى مع مسلك الكتمان.²

قال أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني المتوفى سنة 670هـ: أول مؤسس لحلقة العزابة هو العلامة أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي،³ وأول ما استعمل هذا اللقب في أيامه لما أسس الحلقة ورتب قوانينها. وقال صاحب سير الأئمة وأخبارهم أبوزكرياء يحيى بن أبي بكر المتوفى سنة 471هـ.⁴ قال: "توجه أبو عبد الله نحو القيروان وتعلم بها النحو والعربية. فلما صدر عن القيروان، قعد للحلقة."⁵ وقال الشماخي في كتابه السير: "أقام الإباضية مقام الإمام في جميع الأمور والأحكام، أسس لهم قواعد السيرة."⁶ حيث انصرف الإباضية عن أمور الدولة إلى الاهتمام بأمور المجتمع ومحاولة "السير به على منهج المذهب الإباضي في شؤون

¹ فرحات الجعبري، نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة، المعهد القومي للآثار والفنون، ط1، تونس 1975، ص29.

² فرحات الجعبري، مصدر نفسه، ص33-34.

³ حجري، الفكر التربوي الإباضي في شمال إفريقيا، مصدر سابق، ص141.

⁴ الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، مصدر السابق، ج1، ص171.

⁵ أعوش، وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية، مصدر سابق، ص92.

⁶ أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر، كتاب سير الأئمة والأخبار، تح اسماعيل العربي المكتبة الوطنية الجزائرية-الجزائر دط، 1979-1399، ص173.

⁶ الشماخي، كتاب السير، مصدر سابق، ص359.

الفرد، والجماعة دون أن يتعرضوا لقضية الدولة، ومن يتولى الحكم، لما جاء الإمام أبو عبد الله محمد بن بكر رضي الله عنه الذي أعرض على التفكير في قضية الحكم وتكوين الدولة وفرز نظاما بديلا عن قيام الدولة عادلة"، فوضع نظام العزابة، واتخذ له قواعد وأسساً، ودعا الناس إلى السير عليه.¹

ويلحظ الدارس من جهة أخرى أن النظام كان علميا ودينيا ثم تطور، ولا سيما في المجتمع الميزابي ليصبح نظاما متكاملا يهتم بكل نواحي الحياة الفردية والجماعية، دينا واجتماعا واقتصادا وسياسة.² وهي في زمن الظهور والدفاع تمثل مجلس الشورى للإمام أو عامله ومن ينوب عنه، أما في زمني الشراء والكتمان فهي تمثل الإمام وتقوم بعمله.³

سيرة أبي عبد الله الفرستائي:

ولد أبو عبد الله محمد بن بكر بن أبي بكر الفرستائي النفوسي بمدينة فرسطاء تقع في جبل نفوسة ولاية نالوت الليبية.

تاريخ مولده:

لم يذكر بالضبط في المصادر القديمة، وحدد مولده تقريبا في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (العاشر م)، إذ كان انتهائه من الدراسة سنة 408 هـ: 1017-1018 م، وقال الشيخ البكلي (البكري) رحمه الله، كان مولده 345 هـ⁴

¹ حجري ، الفكر التربوي الإباضي في شمال إفريقيا، مصدر سابق، ص 141.

² محمد ناصر ، حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي، مكتبة الضامري، دط، 1410 هـ-1989 م، ص 8.

³ معمر، الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق ، ص 79

⁴ أعوش، وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية، مصدر سابق، ص 93

طفولته:

تذكر المصادر القديمة أنه انتقل إلى جزيرة جربة دون ذكر طفولته.¹

تعلّمه:

أخذ مبادئ العلوم في مسقط رأسه فرسطاء، ثمّ تنقّل بين عدّة مدن للاستزادة من الفنون على يد أكابر العلماء في زمانه: القيروان، وجربة، والحامة. ففي الأولى نحل من معين اللغة العربية وعلوم الآلة، وفي الثانية ارتوى من علوم الشريعة² عند الشيخ أبي زكرياء فصيل بن أبي مسور بالجامع الكبير، وفي الحامة عند شيخه أبي نوح سعيد بن زنگيل، فكان من تلاميذه المتقدّمين، كما يذكر الوسياني في سيره. سافر بعدها إلى قسطلية بحثا عن الشيخ أبي عمران موسى بن زكرياء، ليأخذ عنه الفقه والفروع، إلّا أنّ وفدا من جربة اضطرّوه إلى التحوّل من مرحلة التعلّم إلى مرحلة التعليم وتأسيس حلقة العزّابة.

مصدر رزقه:

اعتمد أبو عبد الله على نفسه في توفير مصدر قوته، فلم يشغله العمل العلمي والاجتماعي عن السعي لكسب الرزق بكّد يمينه، فقد اتخذ لنفسه غنماً وماشية يتنقّل بها بين عدّة مناطق، متتبّعا مصدر الكلاء، مثل نفوسة، ووادي سوف، ووادي أريغ، ووادي ميزاب. كما كان يملك ضيعات كثيرة منها ما أشار إليه الوسياني بقوله: إنّ بني ورتيزلن غرسوا له خمسمائة (500) فسيلة (وحينئذ كلّهنّ وبلغن العشور).³

¹ أعوش، مصدر سابق، ص 94

² مجموعة الباحثين، معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب) مصدر سابق، ج 2، ص 772.

³ مجموعة الباحثين، معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب) مصدر نفسه، ج 2، ص 773.

تلاميذه:

يعدُّ تلاميذ الشيخ بالمئات، من بلدان شتى، ولعلَّ من أوائلهم: زكرياء ويونس ابنا أبي زكرياء. ومن أبرزهم ابنه أبو العباس أحمد، وأبو بكر بن يحيى، ويعقوب بن يعدل، ومصالة بن يحيى، وأبو الربيع سليمان بن يخلف المراتي الذي كان رديفه في سلسلة نسب الدين¹.

تأليفه:

أوَّل من ذكر من كتَّاب السير بأنَّ لأبي عبد الله تأليف هو أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر، في قوله: (وله في كلِّ فنِّ تأليف كثيرة)، وتبعه في هذه المقولة الدرجيني في طبقاته والشماسي في السير: (له في كلِّ فنِّ تأليف كثيرة، أكثرها في الحجج والبرهان، لأنَّه كان فيها ركن الأركان، وله في الأخلاق حكم وأقوال)²

غير أنهم لم يوردوا لنا ولو عنوانا واحدا من كتبه، والناظر في التراث الإباضي من كتب السير والفقه والعقيدة، يجدها تعجُّ بآرائه وحكمه؛ ومن ثمَّ يتَّضح لنا أنَّ أبا عبد الله لم يؤلِّف كتباً لقصد التأليف، وإنَّما جمع له تلامذته فتاويه وحكمه وأخذها عنهم المؤلِّفون لتعرف فيما بعد بتأليف أبي عبد الله.

ويعد أشمل كتاب يجمع آراء الشيخ وعلمه هو (كتاب التحف المخزونة) لتلميذه سليمان بن يخلف، في جزأين.

صفاته الخلقية، وأقوال العلماء فيه:

أطنبت المصادر في ذكر مناقبه وصفاته الخلقية، ولا بأس أن نورد أنموذجا لشهادة بعض معاصريه فيه:

¹ مجموعة الباحثين، معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب) مصدر سابق، ج2، ص776

² مجموعة الباحثين، معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب) مصدر نفسه، ج2، ص776

قال عنه أبو محمّد ماكسن بن الخير: (مثل أبي عبد الله مثل من قال الله تعالى فيه: هذا نذيرٌ من النذر الأولى)

وقال عنه محمّد بن أبي صالح النفوسي: (فيه خمس خصال قليلة في غيره من أهل العصر: عالم، ورع، عابد، سخي، شجاع، من ذروة نفوسة).

وفاته:

توفي رحمه الله سنة 440: 1048م-1049م وقد حضر بجانبه عند احتضاره تلميذه عبد السلام بن منظور فقال له: إلى من تتركني يا أخي فقال له: " الدعاء الدعاء فصار يرددها...حتى فاضت نفسه إلى رحمة الله.¹

¹ مجموعة الباحثين، معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب) مصدر سابق، ج2، ص777

الفرع الثاني: أسباب نشأة حلقة العزابة.

حرص الإباضية بعد انقراض دولتهم الرستومية سنة (296هـ/908م) على أيدي الفاطميين، على وضع نظام تربوي يحفظ جامعتهم من التمزق، ومذهبهم من الاندثار، ويبقى صامدا أمام محاولات التدويب والإغارة.¹ ولما أدرك الإباضية أن إمامة الظهور لا يمكن تحقيقها، لأنهم كانوا لا قوة لهم في هذا الأمر السياسي، فقد لجأ الإباضية إلى نظام العزابة حفاظا على وجودهم وعقائدهم المتناقضة أشد التناقض مع المذاهب الشيعية المتطرفة الحاكمة آنذاك، التي تجعل حكمها قائما على الإمام المعصوم الذي رفع إلى درجة الألوهية والذي سيكون شافعا لأنصاره يوم القيامة.²

ولنتأمل ما قاله الشاعر ابن هاني، محمد بن هاني الأندلسي (نزيل المسيلة) 326-363هـ/937-972م في مدح المعز لدين الله الفاطمي حيث قال:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

هذا الذي تجدي شفاعته غدا حقا وتحمد أن تراه النار

ويقول الدرجيني: أما الأسباب التي دعت الإمام محمد بن بكر إلى تنظيم العزابة ووضع الشرط فهي الحالة التي وصل إليها المذهب الإباضي في القرن الرابع الهجري، حين أخذ الإباضية يتركون مذهبهم. وخاف العلماء من انقراض المذهب الإباضي في الشمال الإفريقي. فكانوا يطلبون من أولادهم الالتحاق بالعلماء والأخذ عنهم، بعيدا عن الأعين.³ ويقولون لهم "هذا

¹ حجري، الفكر التربوي الإباضي في شمال إفريقيا، مصدر سابق، ص 141.

² أعوش، وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية، مصدر سابق، ص 90

³ حجري، الفكر التربوي الإباضي في شمال إفريقيا، مصدر نفسه، ص 142.

دينكم¹" وهؤلاء أهل دينكم، كل ذلك ليمسكوا ببعض دينهم، ويكونوا ثقة في مذهبهم، فكانوا على ذلك حتى تيسرت لهم الطريق.²

ويقول الدرجيني بأن جبال "تمولسة" التي كانت معقلاً للمذهب الإباضي "وكانت حينئذ ليس فيها أحد من أهل الدعوة، فإنهم تغيروا وبدلوا إلا "يصليتين" عم الفقيه أبي الربيع سليمان بن يخلف،³ ونساء وأطفال".⁴

وخاف الفقهاء الإباضية أن يترد أبناؤهم عن المذهب، فطلبوا منهم أن يتوجهوا إلى الإمام محمد بن أبي بكر ويأخذوا عنه، ووضع نظام العزابة..⁵

و"كان الناس قد فسدوا، وفسد الزمان، فهذا سبب قعود الحلقة المباركة الصادرة عن إكرام مشاركة بين الشجرتين الطيبتين المسورية والبكرية⁶ بخطة وإجابة كانتا في الله، فتولدت بينهما هذه الأنوار البهية من الآداب والقوانين لسالك سبل العلم والدين".⁷

¹ كلمة الدين تطلق لمعان عدة ، حسب استعمالها اللغوي ، منها المذهب ، والطريقة ، والسيرة ، وما يعبد به الله .

² الدرجيني، طبقات المشايخ، مصدر سابق، ج 1، ص 168.

³ هو أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي القابسي، اخذ العلم عند عبد الله محمد بن بكر وكان غاية في العلم وله التأليف: التحف في الاصول وتوفي (ت471هـ/1078م). الشماخي، كتاب السير ، سلسلة الرابعة، ص 395

⁴ الدرجيني ، طبقات المشايخ، مصدر نفسه، ص168

⁵ حجري ، مصدر نفسه، ص142.

⁶ المسورية والبكرية: لأن الشيخ أبا زكرياء أرسل ابنه وجيرانه إلى أبي عبد الله وقال لهم: "اطلبوا أبا عبد الله فحيثما وجدتموه فلازموه واقرأوا عليه وحيثما كان فكونوا معه ولو في شغل دنياه . وطلب منهم أن يطلبوا له لأن يضع لهم طريقا جديدا يتناسب مع الوضع ولما فعل ذلك سموها الطريقة المسورية البكرية.

⁷ الدرجيني، مصدر نفسه، ص170.

ومن المفيد جدا أن نستدل برأي الدكتور محمد الطالبي التونسي،¹ إذ قال: (إن المذهب الإباضي صمد صمودا غريبا، نشأ عن قوة الإيمان الذي يغمر قلوب أصحابه، ويجعلهم يثبتون للمحن، وينسجمون مع الوضع من دون تنكر لمثلهم العليا، ومن دون تضحية بالمقدسات، فلقد اهتدى الإباضيون بفضل إخلاصهم لمبادئهم لإيجاد الحلول الملائمة للوضع في كل الملابس التي مروا بها، وبالرغم عما نسجتهم من رياح متعاكسة لم تستطع أن تعفي أثرهم إلى اليوم.

ثم يضيف قائلا: ومن جملة هذه الحلول، الطريقة التي مكّنت أصحاب المذهب الإباضي من المحافظة على كيانهم، نظام العزابة الذي بقي قائما بجرية إلى عهد ليس بالبعيد، والذي بقي العمل به إلى اليوم في وادي ميزاب، يمثل الاجتماع المعاصر ومظهرها من مظاهر حضارتهم وتقاليدهم.²

الفرع الثالث: شروط العضوية والالتحاق بالحلقة:

إن شروط العضوية للالتحاق بحلقة العزابة متعددة ومتنوعة حسب تطور الظروف وتتابع السنين إن لم نقل القرون، ولكنها في مضمونها وروحها لا تختلف ولا تخرج عن الغرض الذي حددت تحقيقه، وهي شروط تتضمن بقاء حلقة العزابة مصدرا مشعا لنور الهداية في المجتمع، وحافظا لتماسكه في إطار شرع الله والدين الإسلامي الحنيف.

¹ هو محمد الطالبي التونسي مفكر معاصر ذو جنسية تونسية أهم مؤلفاته: دراسات في تاريخ إفريقية، وفي الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط، وهو الذي أشرف على شهادة الكفاءة في البحث العلمي، التي قدمها الأستاذ فرحات الجعبري تحت عنوان: نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة سنة 1975م، فقام المعهد القومي للآثار والفنون الإسلامية بتونس بطبع ونشر هذا التراث على حسابه رغبة منه في إظهار العمق الحقيقي للتراث الإسلامي الأصيل. بكير بن سعيد أعوش إعداد، الإباضية في مرآة علماء الإسلام، قديما و حديثا، المطبعة العربية نهج طالبي أحمد، غرداية، دط، ص 99.

² أعوش، وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية، مصدر سابق، ص 91.

ومن الخصال التي ذكرها أبو عمار عبد الكافي للعزاي هي:¹

الأولى: أن يكون كيساً أديباً.

الثانية: أن يكون مشمراً في طلب العلم.

الثالثة: لا يكثر الدخول في الأسواق.

الرابعة: يغسل جسده بالماء من الدنس من الناس، ويغسل قلبه بماء وسدر من الغش والتكبر وما أشبه ذلك مما يوجب حب العمل ويباعد نفسه من الدخول في الأسواق والقعود في الجماعات..

خامساً: أن يكون حافظاً للقرآن.."

سادساً: "أن يكون مجتهداً في حقوق الضعفاء والمساكين، ومنتصفاً من الظالم للمظلوم، وقائماً بما ينوب الضعيف والمنقطع عن أهله وما أشبه ذلك من الحقوق".²

سابعاً: أن لا يولى مال المسجد من كان له مال ولا من كان له أولاد، بل يولون من كان بين بين.

المطلب الثالث: تنظيم حلقة العزابة، وأثرها في المجتمع.

حلقة العزابة تتمثل بخيرة الناس في المجتمع الإباضي لخدمة المصلحة العامة للمسلمين ويتميزون بالعلم، والصلاح، والكفاءة، فهنا سنبين كيف تنتظم حلقة العزابة، وأثرها في المجتمع الإباضي.

¹ السعودي، حلقة العزابة إنشاؤها، مصدر سابق، ص 13

² السعودي، مصدر سابق ص 14 .

الفرع الأول: تنظيم حلقة العزابة:

تنظيم حلقة العزابة يكون كما يلي:

- 1- شيخ العزابة: تختار هيئة العزابة من بينها شيخاً يسمى "شيخ العزابة"¹، ويكون أعلم القوم، وأقواهم شخصية، وأقدرهم على حل المشاكل² ".لا يشترط فيه أن يكون أكثرهم سناً. والشيخ يرأس الهيئة في جلساتها، ويمثلها في جميع أعمالها، ويتكلم باسمها"³ وهو الذي يتولى الإرشاد والتوجيه، ويبلغ كذلك القرارات التي اتخذتها هيئة العزابة إلى عامة الناس في المجال الاجتماعي.⁴
- 2- المستشارون: ويكون عددهم أربعة لا يزيدون ولا ينقصون. ويلزمون الشيخ، ولا يقطع أمراً دون موافقتهم.⁵
- 3- الإمام: شخص واحد، يقوم بصلاة الجماعة، ويلقي خطبة الجمعة، ويجوز أن يكون أحد الأربعة المستشارين وفي أغلب الحالات يكون نائباً لشيخ العزابة.⁶
- 4- "المؤذن: وهو شخص واحد مسؤول عن تحري أوقات الصلاة، والقيام بمهمة الأذان، ويصح أن يكون أحد الأربعة المستشارين.
- 5- وكلاء الأوقاف: يخصص عضوان للإشراف على الأوقاف، وعلى ميزانية الحلقة. وضبط الواردات والصادرات. وطريقة إصلاح وتنمية الأوقاف، ويشترط في هذين العضوين بالإضافة إلى الشروط العامة لأعضاء الحلقة، أن لا يكونا من الأغنياء المكثرين، ولا من الفقراء المعوزين، ولكن من متوسطي الحال المستورين.

¹ معمر، الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق، ط3، 2008/1429، ص79.

² معمر، مصدر نفسه، ص70.

³ معمر، مصدر نفسه، ص79.

⁴ أعوش، مصدر السابق، ص105.

⁵ معمر، مصدر نفسه، ص81.

⁶ معمر، مصدر نفسه، ص81.

6- المعلمون: يخصص ثلاثة أعضاء أو أكثر أو أقل حسب الحاجة، للإشراف على التربية والتعليم، وتنظيم الدراسة، ومراقبة التلاميذ في المحاضر، وهي دور التعليم، أو في الأقسام الداخلية، وما إلى ذلك من شئون التعليم."

7- القائمون على حقوق الموتى¹: يخصص أربعة أعضاء أو خمسة للإشراف على حقوق الموتى ومراقبة وصاياهم وتقسيم تركتهم على حسب أحكام الإسلام.² والعزابة لا يأخذون أي أجر عن عملهم هذا لأن الأمر فرض يوجبهم عليهم الواجب الديني، والاجتماعي والأخلاقي والإنساني.³

وتحت هيئة العزابة عوامل ومنظمات أخرى تعمل لإعطاء قوة لهذه الحلقة وتستجيب أوامر الهيئة حتى تتحقق مصلحة المجتمع الإسلامي، ومن هذه المنظمات ما يلي:

- منظمة إيروان": تتشكل هذه المنظمة ممن يستظهرون القرآن.. وهم الأقربون إلى هيئة العزابة يساعدونهم في بعض المهام، بل إن أعضاء العزابة يتم اختيارهم في المستقبل من بين هؤلاء.⁴
- الغاسلات " تمسردين " : وتمثل هذه الهيئة الشق النسائي من العزابة، وهي تباشر أنشطتها في الوسط النسائي.. وتشرف على النواحي التربوية والاجتماعية، وتعنى بشؤون الأفراح والمآتم، فضلا عن غسل الموتى من النساء والأطفال..⁵

¹ هذا منصب جديد في الحلقة والمعروف هو الغسالون الذين يتولون غسل الأموات وتكفينهم والصلاة عليهم ودفنهم. بورورو ابراهيم ، أستاذ في معهد عمي سعيد للدراسات الإسلامية والحضارية غرداية - الجزائر، وعضو حلقة العزابة.

² عن عبد الرحمن عثمان، التربية الإسلامية في القيروان في القرون الهجرية الثلاثة الأولى، المكتبة العصرية- سيدا بيروت، ص402. نقلا عن معمر، الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق، ص99.

³ أعوش، وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية، مصدر سابق، ص 106.

⁴ علي القرشي، البديل الإباضي وفن الممكن، مكتبة الجيل الوعد ط1 - 2004/1425، ص27.

⁵ القرشي، البديل الإباضي وفن الممكن، مصدر سابق، ص26.

- مجلس العشيرة : " يتألف هذا المجلس من شيوخ العشائر وأعيانهم..¹، وتكون مجموعة من أسر "بينها قرابة الرحم ويلتقي نسبها في جد واحد، إلا أن رباط الأخوة الإسلامية وروح التعاون والتآزر والحب في الله..² أكثر، وغرضها هو " إصلاح الشؤون الاجتماعية كمواجهة الانحرافات وفض النزاعات ورعاية الأرامل واليتامى والعجزة والمجانين والعاطلين من أبناء العشيرة..³.

وبفضل " .. نظام العشيرة تغيب في الإباضية مظاهر الفقر والتسول والتشرد، وتخف حدة الطبقية، وتتساوى الفئات الاجتماعية من حيث المظهر، كما يفرض العرف العام تحديد وتوحيد أنماط السلوك الاجتماعي في الحياة اليومية والمناسبات في التقاليد والعادات..⁴

- رجال الحراسة (المكاريس): " هؤلاء بمثابة السلطة التنفيذية والأمنية، حيث يقومون بأعمال الحراسة والدفاع والنجدة والمطافئ وإرشاد الزوار وحماية الأمن والآداب العامة والإشراف على الأشغال العامة وحملات تصريف المياه والسيول وحفر الآبار وتنظيم السواقي والقنوات وتقسيم المياه وتوزيعها، فضلا عن أعمال الحسبة وقيادة العمل التطوعي المشترك..⁵

¹ القرشي، مصدر سابق، ص25.

² معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، مصدر سابق، ص 170.

³ القرشي، مصدر نفسه، ص25.

⁴ معمر، مصدر نفسه، ص71 .

⁵ القرشي ، مصدر نفسه، ص25.

الفرع الثاني: أثر حلقة العزابة في المجتمع:

العزابة تعمل دور إمام الكتمان في المجتمع الإباضي، لذلك تحقق على يديها مجموعة من الأمور الهامة التي يجب أن تكون في أي مجتمع من مجتمعات إسلامية، ومن ضمن ما استطاع العزابة إنجازهما يلي:

1- استطاع العزابة في المجتمع القضاء على الآفات "الاجتماعية العامة كالجهل والظلم، والفساد الخلقي، والبدع الضالة، والزيف عن العقيدة الإسلامية الصحيحة" إذ كانت الأمة اشتدت على الفساد الخلقي والانحراف الديني كعدم "احتجاب المرأة من أحائها.. وعدم توريث المرأة النصيب المفروض..¹"

ولما أنشأ المفسدون بعناية المستعمرين "المواخير وحانات الخمر والمعاهر والحشيش والمخدرات الفاتكة، والقمار" في ضواحي مدن ميزاب من غرداية وريان والقرارة وقع فيها كثير من رجال ميزاب شبابا وكهولا،² ونجح العزابة في تطهير المجتمع من البدع الضالة والأخلاق الفاسدة بعد عناء شديد، وغرسوا بذور الإيمان الأصيل وأرجعوا عامة الشعب إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة بالوعظ والإرشاد وجعل المسجد مدرسة لإحياء السلوك القرآني.³

2- العزابة تشرف "على التعليم وتهيئة الوسائل لذلك، وتيسير السبل أمام جميع الأطفال لينالوا قسطا من الدراسة، ويتعلموا.. القرآن الكريم وما يعرفوا به أمور دينهم..⁴ وقد تمكن العزابة من الإشراف على بناء المؤسسات التربوية كالمدارس الابتدائية والثانوية،

¹ أعوش، وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية، مصدر سابق، ص 113

² محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1340هـ/1921م - إلى عام 1395هـ/1975م، دار البعث - قسنطينة - الجزائر، ط 1 - 1400هـ/1880م، ج 4، ص 83.

³ أعوش، مصدر نفسه، ص 114 . نقلا، محمد ناصر، حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي، مكتبة الضامري - سلطنة عمان - 1410هـ/1989، ص 22.

⁴ معمر، الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق، ج 1، ص 101.

والمكتبات والداخليات والجمعيات الثقافية، والنوادي التي تضم التلاميذ والطلاب للاستفادة منها مجاناً.¹

3- ومن أثر العزابة في المجتمع الإباضي هو الإشراف على المساجد والجوامع وربط المجتمع بالمسجد الذي هو المركز الأساسي للعزابة، وتعيين القضاة في المدينة ليتحقق العدل والمساواة بين المسلمين، والسعي قدر الإمكان إلى إرسال الدعاة والمرشدين إلى الأماكن التي يوجد فيها عدد من الإباضية ولا يوجد فيها مجلس العزابة.

4- " تأليف الكتب المتعلقة بالعلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وفتوى"² وكل ما يتعلق برقي المستوى العلمي والمعرفي في المجتمع.

5- استطاع العزابة أن تقنع المجتمع بضرورة وجود قيادة صالحة في المجتمع فأصبحت هي التي تقود الأمة الإسلامية الإباضية، فالعزابة هي من تربط العلاقات بينها وبين سائر البلاد التي توجد فيها الإباضية في شمال إفريقيا من ليبيا وتونس، ومشرقاً كعمان وزنجبار، أو سائر بلاد المسلمين، وهي التي تعلن حالة الحرب وضرورة الخروج إلى الجهاد إذا اقتضى الأمر إلى ذلك.³

6- بناء الوحدة والحب في المجتمع و"تيسير سبل الحياة للفقير والضعيف، وإيجاد العمل للجميع، وذلك بمطالبة الأغنياء وأصحاب اليسار أن يستعينوا بالفقراء في إنجاز أعمالهم مقابل أجور..".⁴

7- والعزابة هي التي تسيطر " وتنظم الحياة الاقتصادية في المجتمع الإباضي، فالمجلس يشرف على الشؤون المالية مثل الزكاة والأوقاف، وتنمية الموارد المدنية مثل الواحات والبساتين، وخاصة أشجار النخيل التي تعد من أهم المصادر الغذائية في المناطق الصحراوية".⁵

¹ محمد ناصر، حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي، مصدر سابق، ص32.

² محمد ناصر، مصدر نفسه، ص43.

³ محمد ناصر، مصدر نفسه، ص44/43.

⁴ معمر، الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق، ص101.

⁵ عوض خليفات، النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في إفريقية في مرحلة الكتمان، دن، دط، ص 45.

8- تنظيم الحراسة في البلدة على أموال الناس من زراعة وماشية حتى لا تصل إليها أيدي الغارة والسرقة والإضرار.¹

9- بفضل حلقة العزابة بقيت المرأة الميزابية على نقاوتها وعفافها التي منحها الإسلام، فعادت محتشمة محترمة بكامل حقوقها.

10- الإشراف المباشر على المجازر الخاصة بذبح الأنعام للقصابين وذلك بتعين رجل آمن متقن لشروط الذبح الإسلامي، وهذا من أجل تحري الطعام الحلال.²

¹ معمر، الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق ، ص101

² حاج أحمد بن هموكروم، عضو حلقة العزابة.

المبحث الثاني: زنجبار تاريخها وبداية وجود الإباضية فيها.

من الأجدر قبل أن ندخل في توضيح مسالك الدين في زنجبار أن نتعرف أولاً -ولو باختصار- على مفهوم زنجبار وأصلها، وأهلها، وبداية وجود الإباضية فيها، ومكانتها، والمجال الجغرافي التاريخي فيها، مع لغة أهلها وما هي علاقتها بعمان خاصة قبل سنة 1964م.

المطلب الأول: التعريف بزنجبار:

زنجبار هي كلمة فارسية بمعنى زنج، بار، أي : ساحل الزنج، محرفة، أصلها برّ الزنج، ويقول النعماني: "ونعرف أن تسميتها بزنجبار قد جاءت من اللغة السواحلية ، التي تكونت من لغة العرب ولغة البانتو، وهي مكونة من مقطعين : (زنج) ، و(بر). فزنج صفة للشعب الساكن في منطقة شرق إفريقيا، وبر هي الأرض المقابلة للبحر ، فكلمة زنجبار أصلها عربي ، وهو "بر الزنج". ويرد على الذهن أن العرب أطلقوا هذا الاسم أول الأمر للتمييز بين جزر الساحل الإفريقي، وبين مدنه الواقعة على البر، ثم أصبح فيما بعد مصطلحاً يطلق على كل ساحل شرق إفريقيا بره وجزره.¹

نلاحظ في هذين التعريفين اختلافاً في أصل الكلمة زنجبار ولكن مع هذا اختلاف يبقى المقصود هو صفة للشعب الساكن في المنطقة.

وكان اسم زنجبار، حتى عهد السيد برغش بن سعيد المتوفى سنة 1888م، ينصرف إلى جميع مدن ساحل إفريقيا الشرقية ، ابتداء من مقديشو شمالاً وحتى موزنبيق جنوباً؛ إلا أن

¹ سعيد بن سالم النعماني، الهجرات العمانية إلى شرق أفريقيا، النادي الثقافي-مسقط دار الفرق، ط1، 2012م،

حدود هذه الدولة تقلصت بفعل التكالب الاستعماري عليها، إلى أن استقرت على جزيرتين أساسيتين، هما: "أنغوجا" و"بيمبا"، إضافة إلى جزر صغيرة أخرى.¹

الفرع الأول: زنجبار (أنغوجاء): *unguja*

هذه الجزيرة واقعة في المحيط الهندي، ويبلغ طولها من أوسع نقطة منها 524 ميلاً ، وعرضها من أوسع نقطة منها 24 ميلاً، فصار مجموع مربعها 12576 ميلاً مربعاً.

وتبعد عن البر الإفريقي مسافة خمسة وعشرين (25) ميلاً، و118 ميلاً عن جنوبي ممباسة، و35 ميلاً عن جنوبي الجزيرة الخضراء، بيمبا، و29 عن شمالي دار السلام.² وكانت تسمى في القرن الأول للمسيح ((منشونيا)) أو ((منشونياس)) ولا يعرف معنى هذا الاسم.

الفرع الثاني: زنجبار (جزيرة الخضراء) ((بمبا)) *Pemba*:

وطولها من أوسط نقطة 42 ميلاً 78 كلم، وعرضها من أوسط نقطة فيها 14 ميلاً 23 كلم، فيصير جملة مربعها 588 مربعاً، تقع شمال زنجبار على بعد 32 ميلاً، وعن البر الإفريقي 38 ميلاً، فهي بالنسبة إلى جزيرة زنجبار (أنغوجاء) أصغر منها، لكن مساحة الأراضي الصالحة للزراعة في الجزيرة الخضراء أكثر منها في زنجبار.³

¹ ناصر بن عبد الله الريامي، زنجبار شخصيات وأحداث (1828-1972م) ، مكتبة بيروت - القاهرة، دط، ص 27.

² سعيد بن علي المغيري ، جبهة الأخبار في تاريخ زنجبار ، تح: محمد بن علي الصليبي، سلطنة عمان، وزارة التراث والثقافة ، ط5، 1438هـ/2017م ، ص84.

³ سعيد المغيري ، جبهة الأخبار، مصدر نفسه، ص84.

المطلب الثاني: زنجبار وبداية السكان العمانيين فيها:

إن البداية للوجود العماني هناك، وإن لم تكن موثوقة ومؤكدة بالدقة ، فيرجعها المؤرخون إلى زهاء الألفين عاما أي مع بداية القرن الأول الميلادي، والأمين يرجع بهذا التاريخ على أبعد من ذلك، حيث يوضح بأنه يمتد إلى : "ما بعد منتصف الألف الأول قبل الميلاد ، أي قبل عهد الإسكندر الكبير وفتوحاته التي أحدثت تغييرات عميقة في الطابع الحضاري والسياسي لآسيا الغربية"¹

ويقول درويش: "إنه ومنذ القرن الأول الميلادي سجل أحد المؤرخين الإغريق أن ساحل إفريقيا كان يزدحم بالسفن العربية القادمة من جنوب شبه الجزيرة العربية"، فكان العمانيون يلجؤون إلى هذه السواحل عندما تجبرهم الظروف على ترك وطنهم ، سواء كانت تلك الظروف اقتصادية، نتيجة للقطط أو الأزمات الاقتصادية والسياسية، أو اجتماعية نتيجة للحروب القبلية والثأر.²

وأما التاريخ الرسمي لوجود العمانيين عام 1698م لما تمكن فيه الإمام سيف بن سلطان اليعربي الأول، الملقب "بقيد الأرض" من طرد البرتغاليين كليا من الإمارات العربية الإسلامية التي أسسها العمانيون،³ وفي الساحل الشرقي للقارة الإفريقية.⁴

ويرجع كثير من الباحثين أن هجرة سليمان وسعيد ابني عباد بن عبد بن الجلندي بن المستكبر، هي أول هجرة موثوقة من الهجرات العمانية إلى الساحل الإفريقي الشرقي، في القرن

¹ الريامي، زنجبار شخصيات وأحداث، مصدر سابق، ص22.

² ناصر الريامي، مصدر نفسه، ص22.

³ من مقدشو شمالا، وحتى موزمبيق جنوبا. هذه الولايات، كانت قد وقعت تحت نير الاستعمار البرتغالي في أوائل القرن السادس عشر.

⁴ الريامي، شخصيات وأحداث، مصدر نفسه، ص21.

الأول الهجري عام 74هـ (السابع الميلادي) إذ أن الوضع السياسي الذي حل بعمان في ذلك الزمان المتمثل بالحروب الطاحنة التي دارت رحاها بينها وبين الوالي الأموي الحجاج بن يوسف الثقفي لإخضاع عمان للدولة الأموية في عهد عبد الملك بن مروان، فهذا الوضع السياسي المتأزم أجبر حاكمي عمان (سعيد وسليمان) ومعهما قسم كبير من قبيلة الأزد العمانية إلى الفرار من عمان، ولا يعرف بالتحديد أي جزيرة عاشوا، واتجهت دراسة أخرى على أنهم استقروا جزيرة بيمبا زنجبار¹.

وما يظهر هنا هو أن السفر كان إلى المعلوم بنسبة لديهم خاصة عندما يؤكد المؤرخون تجذر العلاقات العمانية الزنجبارية قبل هذه الحادثة.

إن زنجبار على حسب الصور البارزة من الحضارة العربية الإسلامية تؤكد على انتشار الدين والحضارة الإسلامية من المنازل العربية والمراكز التجارية، وهذا يدل على وجودهم مبكراً، ويقول المزروعى إن عمان واليمن والسعودية، لعبت دوراً رئيساً وفاعلاً تجاه ميلاد مجموعة عرقية متكاملة على الساحل الشرقي الإفريقي من هجرات عبر القرون، مشيراً إلى أن وجود سيدنا بلال مؤذن الرسول الكريم في مكة المكرمة قبل الإسلام، تقف شاهداً إلى وجود صلة عربية قديمة أفريقية بشكل عام.²

¹الريامي ، زنجبار شخصيات وأحداث، مصدر سابق، ص23.

²الريامي، المصدر نفسه، ص25.

المطلب الثالث: بداية دخول الإسلام في زنجبار ووجود الإباضية فيها.

دخول الإسلام في زنجبار كان مع القرن الأول الهجري بفضل التجار المسلمين الذين كانوا يترددون كثيرا بين هذه المناطق والجزيرة العربية، فاستطاعوا إدخال الإسلام في هذه الأقطار التي كانت العبادة قبل ذلك مجرد أفكار وأهواء وعادات اجتماعية وقبلية.¹

وإذا رجعنا إلى تاريخ هذه المناطق نجد أن الخليج العربي بصفة عامة وعمان بصفة خاصة لها صلات عريقة بشرق إفريقيا ترجع إلى ما قبل الإسلام،² فمن المسلم بديها هو أن المسلمين العرب وبالأخص العمانيين كانت لديهم يد فعالة في إدخال الإسلام إلى هذه الأماكن مبكرا ومما يؤكد لنا هذا هو هجرة ابني جلندا إلى هذه الأقطار كما سبقنا ذكره في المطلب الثاني من هذا المبحث، لهذا يمكن القول إن الإسلام في تلك الأقطار كان قبل ذلك بأعوام طويلة لأن الهجرات العمانية لم تبدأ في ذلك الوقت.

وأما قضية وجود الإباضية فيها يقول علي يحيى معمر " كان أغلب سكان زنجبار من الإباضية، وكانت لهم هناك دولة ملكية، وكان لها نشاط جيد في نشر الثقافة الإسلامية."³ بناء على أن أكثر الناس تأثيرا في شرق أفريقيا هم العمانيون يمكن أن نسلم إلى قول علي معمر على هذا، ووجود الإباضية فيها كان مبكرا جدا لأن تجارهم هم الذين كانوا يتاجرون في تلك الأماكن بقوة فهاجر إليها العلي والديني والصفوي.

¹ النعماني، الهجرات العمانية إلى شرق إفريقيا، مصدر سابق، ص 495.

² يوسف علي بديوي، تاريخ عمان بين الماضي المجد والحاضر السيد، مكتبة ضياء - أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة، ط 1 - 1429هـ/2008م، ص 137.

³ علي يحيى معمر الإباضية مذهب إسلامي معتدل، دن، ط 3، ص 13.

المطلب الرابع: سكان زنجبار في عهد السلطان سعيد بن سلطان:

وقد تشكل المجتمع في زنجبار في عهد السلطان سعيد بن سلطان من عدة جنسيات يمكن تحديدها فيما يلي:

أولاً: السكان الأفارقة الوطنيون : وينقسمون إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

- 1-البمبا: وهم القادمون من جزيرة بيمبا التي تقع شمال زنجبار:
- 2-التمباتو: وهم القادمون من جزيرة تمباتو وتقع شمال غرب زنجبار.
- 3-الهديمو: وهم السكان الأصليون لزنجبار وقد اختلطوا مع الشيرازيين القادمين من شيراز بإيران.¹

ثانياً: السكان العرب : يشكل العرب فئة رئيسية في المجتمع بزنجبار، وقد انقسموا بدورهم إلى عدة أقسام حسب المناطق التي قدموا منها، وهم:

- 1- عرب عمان: وقد جاء أغلبهم أثناء انتقال السلطان سعيد إلى زنجبار وكانوا يؤلفون الطبقة الرئيسية الحاكمة في البلاد.
- 2- العرب الحضارمة. وقد حضروا من حضرموت والشحر والمكلا في بلاد اليمن، وكان معظمهم من رجال الدين والقضاء²
- 3- عرب جزيرة القمر: وهم العرب القادمون من جزر القمر وكان عددهم قليلاً ولا يعرف على وجه الدقة أصل أولئك العرب.
- 4- عرب الساحل. وهم العرب القادمون من منطقة الخليج العربي.

¹سميحة إبراهيم ، دولة زنجبار الحديثة ، دار الكتب الوطنية-بنغاز-ليبيا، ط1، 2000م، ص75 . نقلاً عن: وندل فيليبس: تاريخ عمان، تر: محمد أمين عبد الله (عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، 1981م)، ص128.

²سميحة ، دولة زنجبار الحديثة ،مصدر نفسه، 76،

ثالثا: السكان الآسيويون: وفدت إلى زنجبار عناصر آسيوية من الهند والباكستان، وكان الهنود ينتمون إلى عدة طوائف كالبنانيان، واللواتية..¹

رابعا: البعثات الأوروبية: كذلك وجد في زنجبار في ذلك الزمان البعثات الأوروبية وكانوا يتحركون في شرق أفريقية عموما للتجارة، والحركات الاستكشافية والتبشيرية.²

بهذا يتبين للقارئ أن المجتمع الزنجباري في عهد سلطان بن سعيد بن سلطان قد تم تشكيله من مختلف الأجناس. الأمر الذي سيعطينا صورة عن حياة زنجبار في ذلك الوقت، ويعطينا صورة مستقبلية أكثر على الشعب الذي سيعيش في هذه المنطقة.

المطلب الخامس: لغة أهل زنجبار ونشأتها:

الفرع الأول: لغة أهل زنجبار الأوائل:

إن التسليم بتكوين ديمغرافية زنجبار أساسا من العرب المهاجرين من الجزيرة العربية، وبلاد فارس، يقودنا إلى القول بأن اللغة العربية هي اللغة التي استخدمت في زنجبار في تلك الفترات البدائية؛ فهذا هو حكم العقل والمنطق السليم. وكما يمكن استخلاصه مما أشار المستكشف اليوناني في كتابه (Periplus of the Erythraean Sea)،³ في القرن الأول الميلادي، بمناسبة إبحاره في سفينة عربية، في الجزيرة العربية إلى مدن الساحل الشرقي لإفريقيا، ويصف حالة العرب وتجارهم، ويعجب في فترات عديدة لكثرة عدد السفن العربية، وعن اختلاط العرب وتزواجهم مع القبائل الإفريقية.⁴ ولقد أشار الكتاب إلى تعدد العناصر الوافدة

¹ سميحة ، دولة زنجبار الحديثة ، مصدر سابق، ص76.

² سميحة ، دولة زنجبار الحديثة، مصدر نفسه، ص77.

³ هي عبارة يونانية بمعنى: "الدليل الملاحي للمحيط الهندي" Jamalilyl ,A !, Penetration of Islam in EasternAfrica, p.5

⁴ الريامي، زنجبار شخصيات وأحداث، مصدر سابق، ص31.

على الساحل وتطلعها إلى التصرف إلى اللغة العربية، ومحاولاتهم للتحدث بها، لما يفتح لهم ذلك من آفاق واسعة في مجمل التعاملات التجارية كما أشار الكتاب إلى أن زعماء السواحل كانوا يدينون بالولاء لملوك حمير في اليمن.¹

الفرع الثاني: نشأة اللغة السواحلية.

وقد أشرنا إلى أن العرب هم أول من سكن زنجبار ، والتسليم أن اللغة السواحلية لم تكن لها وجود على ذلك الإقليم، وأن ميلادها جاء بعد أن استوطن العرب هذا الإقليم بفترة لا يمكن تحديدها بالدقة، وهناك نظريات عديدة تناولت مسألة نشأة اللغة السواحلية، تشير معظمها إلى أنها نتائج التجانس والتعايش والتداخل والتزاوج والانصهار الاجتماعي بالعرب وسكان البر الأفريقي الذين يتحدثون لغات البانتو² (Bantu) فتولدت اللغة السواحلية وفق هذه التعاملات.³

الفرع الثالث: أسباب اضمحلال اللغة العربية في زنجبار:

السبب الأول: انعدام المدارس العربية: عندما وقعت زنجبار تحت الحماية البريطانية في عام 1890م، لم تكن فيها مدرسة على الإطلاق، وسهل هذا الوضع كثيرا على المستعمر لنشر

¹ الريامي، زنجبار شخصيات وأحداث ، مصدر سابق، ص32.

² هي مجموعة شعوب تضم 300-600 جماعة عرقية في أفريقيا والتي تتحدث بلغات البانتو. يسكنون منطقة جغرافية تمتد من الشرق إلى الجنوب من أفريقيا الوسطى عبر منطقة البحيرات العظمى الأفريقية نزولاً إلى أفريقيا الجنوبية. البانتو هو الفرع الرئيسي لعائلة لغات النيجر-الكونغو المستخدمة من قبل معظم السكان في أفريقيا. تبلغ حوالي 650 لغة حسب معيار الوضوح المتبادل، رغم ذلك فالتمايز بين اللغة واللهجة عادة ما يكون غير واضح، ويقدرها الإثنولوج ب535 لغة. اليوم، تضم جماعات البانتو المتفرقة اليوم ملايين الأشخاص. من بينها الشونا في زيمبابوه ويقدر عددهم 14.2 مليون شخص؛ اللوبا في جمهورية الكونغو الديمقراطية، بما يزيد عن 13.5 مليون شخص؛ الزولو في جنوب أفريقيا، بأكثر من 10 مليون شخص، وحوالي 10 مليون شخص؛ ضمن السوكوما في تنزانيا، وحوالي 8 مليون شخص؛ والكيكويو في كينيا، بأكثر من ستة ملايين شخص. المعرفة <https://www.marefa.org> 2018.

³ الريامي، زنجبار شخصيات وأحداث ، مصدر نفسه، ص33-35.

اللغة الإنجليزية، سيما عندما بدأت الدولة في فتح المدارس في عهد دولة السيد علي بن حمود بن محمد (1902/1911م) وتحديدًا في عام 1908م.

السبب الثاني: التعليم باللغة الإنجليزية: وكما هو دأب المستعمر ، فلقد جلب معه لغته، حيث فتح المدارس العصرية بمختلف العلوم الاجتماعية والتطبيقية باللغة الإنجليزية دون أي مقاومة من جانب العرب، ولعل ردة الفعل السلبية مردها إلى عدم وجود البديل الآخر أمام العرب في ذلك الوقت.

السبب الثالث: جعل اللغة الإنجليزية لغة رسمية: وهذا في المكاتبات الإدارية في جميع الدواوين، وكذا المراسيم السلطانية، وكانت تصدر باللغة العربية حتى بعد أن بسط الإدارة الإنجليزية سلطتها على الدولة "بشكل رسمي"، في عام 1890م، المرسوم الذي صدر في الخامس من إبريل 1897م بإلغاء الصفة القانونية للرق في زنجبار.¹

¹الريامي، مصدر سابق، ص 48

المبحث الثالث: زنجبار سياسيا وأثر مسالك الدين فيها:

في هذا المبحث نناقش العلاقة السياسية والعلمية بين زنجبار وعمان ومدى أثرها في هذه المناطق، لنشخص دور علماء الإباضية في تحريك المجتمع في هذين الجانبين.

المطلب الأول: دخول الحكم العماني في زنجبار:

بعد أن تمتعت زنجبار وبقية مدن شرق إفريقيا باستقرار سياسي واقتصادي مزدهر دام أكثر من سبعة قرون، ولم يضطرب إلا مع وصول البرتغاليين في مطلع القرن السادس عشر حيث نشب على سكان هذه المناطق أظفاره ووثب عليهم كما يثب النمر على فريسته .. حاول السكان حمل الأسلحة ضد الغازي ولكن القوة العسكرية البرتغالية والإرهاب الذي بسطته على كل هذه المنطقة تفوق عليهم تفوقا واضحا.. وهكذا وجدت منطقة إفريقيا الشرقية نفسها خاضعة كليا للسيطرة البرتغالية واعترف سكان زنجبار عام 1503م، كما يقول القاسمي: بسط البرتغال على جزيرة زنجبار، ووافقوا على دفع جزية سنوية. وبعد ذلك بمدة قصيرة تم للغزاة البرتغاليين احتلال المدن الساحلية وتدمير تجارتها حيث دخلت المنطقة بعد ذلك حالة من التخلف لم يتخلص منها أبدا.¹

بعد أن اشتد الخنك على سكان تلك المناطق استنجدوا بالإمام سلطان بن سيف الأول (1644/1688) أن يساعدهم على رفع أذى عدوهم الغاشم هذا، ولما أن تمكن الإمام على طرد البرتغاليين أصبحت زنجبار وبقية مناطق شرق إفريقيا تابعة رسميا لعمان.² لهذا نفهم من ذلك الوقت أصبحت زنجبار وممالك شرق إفريقيا جزءا من الإمبراطورية العمانية

¹ غباش، عمان الديمقراطية الإسلامية مصدر سابق، ص 189

² غباش، مصدر نفسه، ص 189

بعد أن أعلنت موانا مويما ملكة زنجبار ولاءها للحاكم العماني مقابل دفع جزية سنوية¹، وما يؤكد على هذا هو عدم إغفال إمام عمان على أحداث زنجبار بأي لحظة لما أرسل قواته ثانية إلى جزيرة بيمبه بعد أن تنازلت ملكتها عن الجزيرة للبرتغاليين، ووصل الأمر بها إلى اعتناق الديانة المسيحية، "ثم حاصرت قلعة يسوع - سنة 1698- في ممبسة لمدة ثلاثة وثلاثين شهرا، ولم تصل أية مساعدات برتغالية لفك الحصار إلا أن المساعدات وصلت من طرف آخر وهو فاطمة² ملكة زنجبار"³ وكان النفوذ العماني قويا على إخماد هذا الأمر وإلقاء القبض على ملكة زنجبار ونفيها إلى عمان وتم إسناد الحكم إلى ابنها حسن الذي قدم فروض الولاء والطاعة لإمام عمان.⁴

وبعد سقوط دولة اليعاربة في عمان استمرت زنجبار ولاءها لدولة البوسعيدي خليفة جديدة لدولة اليعاربة، إلى أن تتحول زنجبار عاصمة جديدة للإمبراطورية العمانية في عهد سعيد بن سلطان سنة 1823م إلى أن استقر كلية سنة 1840⁵ واستمرت زنجبار على ذلك حتى أن وقع انفصال بينها وبين المقر الرسمي الأول للحكم بعد وفاة سيد سعيد بن سلطان 1856م حاكم إمبراطورية عمانية آنذاك، وفيه كثير من الدوافع والأسباب التي أدت إلى هذا الانفصال لا يسع المقام لذكرها، ولكن ما يهمنا أكثر في هذا الأمر نظام الحكم الإسلامي الذي كان في ذلك الوقت حتى نستطيع تحديد مسالك الدين التي كانت زنجبار تسلكه.

¹ القول عن أخذ الجزية من ملكة زنجبار لا يتماشى مع التعاليم الإباضية إذ لا يأخذون الجزية عن المسلمين ، والملكة زنجبار كانت مسلمة، وزنجبار في ذلك الوقت كانت تعد من أقطار المسلمين.

² هي بنت ملكة مونا مويما المتوفى حوالي سنة 1679م تقريبا، وبعد وفاتها قسمت الجزيرة بين أبنائها فتولى بكيري حكم القسم الجنوبي متخذاً من كيزمكازي عاصمة له وتولت فاطمة المنطقة الشرقية للجزيرة وبنت عاصمة لها بجوار الحماية البرتغالية في القسم الغربي.

³ الجابو، زنجبار في ظل الحكم العربي، مصدر سابق، ص39.

⁴ الجابو، مصدر نفسه، ص40 .

⁵ الجابو، مصدر نفسه ، ص53.

المطلب الثاني: نظام الحكم في زنجبار.

لم نتحصل على مصادر تتحدث عن تفاصيل نظام الحكم الذي كان يطبق في زنجبار قبل أن تنضم إلى الدولة العمانية في نظاميها الإمامة والسلطنة، سوى إشارة لطيفة على وجود المسلمين في تلكم الأقطار كما قال الريامي معلقا على هذا "...وما أن انتهى القرن العاشر الميلادي، إلا وكانت مدن ساحل الشرق الإفريقي قد استكملت مقوماتها وسمياتها العربية الإسلامية..¹" وأخذ يعدد تلكم المدن حتى ذكر زنجبار.

بينما يذكر المؤرخون بوضوح على هذا خاصة في عهد البوسعيديين، ويقول الجبو حول هذا: "كان القضاء من جملة الأمور التي اهتم بها سلاطين زنجبار في محاولة منهم لنشر العدالة والمساواة بين رعاياهم" إلى أن نقل قول القنصل الإنجليزي بقوله " وحتى الفقراء يجب أن تحقق لهم العدالة على يد السلطان".²

وعين السلطان القضاة في جميع المدن وكان مصدر القضاء هو القرآن الكريم والسنة الشريفة، وهؤلاء القضاة كانوا من مختلف المذاهب السنية والإباضية.³ و"حصر سلطان زنجبار الفصل في قضايا الجنايات بيده وفي حالة غيابه يتولى الأمر نائبه أو نائب الوزراء" بينما كانت المسائل الاجتماعية الدينية كالإرث والطلاق والنزاعات تكون عند القاضي في أي وقت شاء،..وعند اعتراض أحد الأطراف المنازعة على عقد الجلسة في بيت القاضي فإنها تنقل إلى دار الحكم، حيث يعقد الجلسة بعد الظهر ويحضرها عادة عدد من القضاة، فضلا عن رئيس الوزراء..⁴

¹ الريامي، زنجبار شخصيات وأحداث مصدر سابق، ص25

² الجبو، زنجبار في ظل حكم العربي، مصدر سابق، ص82.

³ سميحة، دولة زنجبار الحديثة مصدر سابق، ص66

⁴ الجبو، زنجبار في ظل حكم العربي، مصدر نفسه، ص83.

وأما من حيث مشاكل الرعايا الأجانب " ..فقد نصب الاتفاقيات التي ارتبط بها سعيد بن سلطان مع كل من بريطانيا وفرنسا وأمريكا بحق قناصل تلك الدول بالتدخل والمحكمة وإصدار الأحكام..¹

وفي سنة 1888م بعد وفاة السلطان برغش اتفقت البريطانية و ألمانيا على تولية السيد خليفة حاكما لزنبار، من ذلك الحين أصبح زنبار تفقد آمالها، وفي سنة 1890م بعد وفاة السيد خليفة قامت بريطانيا وألمانيا أيضا على تولية السيد علي بن سعيد بن سلطان بشرط تنفيذ جميع المشاريع الاستعمارية². هكذا دخلت زنبار في مخاليل الاستعمار كلية بدعوى حمايتها.

ونفهم من هذا الأمر أن الدولة الزنجبارية كانت دولة ملكية سلطانية لا إمامية، فكانت تحاول قدر المستطاع تنفيذ أحكام الله وإصلاح شؤون المجتمع، مع ذلك كانت مهددة من الخارج، الأمر الذي جعل دخول زنبار في العلاقات الودية مع دول الاستعمار التي كانت تسعى لهفة إلى سيطرتها، فاضطرت السلطنة إلى وضع الاتفاقيات مع هذه الدول لمحافظة على مصالحها، عوضا عن ذلك التنفس على الحكم بين أبناء سلطان سعيد سهل للمستعمرين تثبيت مخالبهم عليهم، لذلك لا يكمن أن نقول لدولة كهذه على أنها دولة الظهور خاصة لما تمكن المستعمر التحكم على الشؤون الداخلية لزنبار. وبالعوم سلاطين زنبار "خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا"³.

¹ سميحة، دولة زنبار الحديث، مصدر سابق، ص 66

² سميحة، مصدر نفسه، ص 84

³ هذا تعبير الشيخ نور الدين السالمي - سبق ترجمته - قبل أن يذكر محامد سلطان برغش بن سعيد، فأخذنا به قياسا على بقية سلاطين لأنه أكثر التزاما من غيره على حسب ما توصلنا إليه. فيقول السالمي: " ولبرغش بن سعيد مآثر حسنة فإنه خلط عملا صالحا وآخر سيئا، جمع الأخيار وقرأ الآثار ولازم العبادة وطبع جنبا من كتب المذهب وجعل للحجيج مركبا يحملهم في كل عام من السواحل وعمان من غير نول وهم فيه مكفولون ذاهبين وراجعين وحج البيت

المطلب الثالث: العلماء ودورهم في إثراء الحياة العلمية في زنجبار.

علماء زنجبار وشرق إفريقيا لعبوا دورا هاما في تثقيف المجتمع، وحفظوا بمنزلة خاصة في الدولة والشعب، وقام سلاطين زنجبار على تشجيع هؤلاء العلماء حتى يتمكنوا من مهمتهم ويتخرج منهم قضاة أكفاء.

"وكان من ضمن المهام التي مارسها القضاة في زنجبار تدريس الطلبة، كما أن بعض القضاة كانوا وزراء، مستشارين قضائيين..¹ فنتج من هذا الوضع التسامح الديني.

كان أغلب المسلمين بزنجبار يتبعون المذهب السني الشافعي في حين يتبع الحكام العمانيون وأعداد كبيرة من الوجهاء المذهب الإباضي، وقد تميزوا باعتدال وتسامح مثاليين، كما كانت بالجزيرة طائفة من الشيعة الاثني عشرة وبصورة أقل الإسماعيلية، وكانت بها أيضا أعدادا كبيرة من الهندوس وقلة من السيخ والبلوشيين الذين اتخذ السلطان من بينهم حرسا خاصة.²

مما يظهر لنا أن علماء الإباضية في زنجبار اشتغلوا كثيرا في القضاء ووجهوا مجهوداتهم إلى تأليف الكتب بخلاف غيرهم من السنة حيث اشتغلوا كثيرا في التعليم والتدريس، إن هذا الأمر يعطينا نظرة على أنهم كانوا في الكتمان الظاهر لأنهم لم يكونوا قادرين على جعل قضية السلطة شوري بين المسلمين، فاكثفوا بما وهبهم السلطة من القضاء، مستغلين على هذا نصحتها لنشر العدل والمساواة بين المسلمين.

وزار القبر وأجزل العطاء وأكرم العلماء ورحم الفقراء ونصب القضاء.. " السلمي تحفة الاعيان بسيرة أهل عمان مصدر سابق ص 241.

¹ الجابو، زنجبار في ظل حكم العربي، مصدر سابق، ص 83

² حمد بن محمد الضواياني، العلاقات التاريخية بين سلطنة عمان وشرق إفريقيا في عهد البو سعيدي 1882-1938م، نظام الوقف والوصايا بزنجبار امودجا، مجموعة من المحققين، هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية، ج 1، ص 33.

المطلب الرابع: سقوط زنجبار وحركتها العلمية الإسلامية:

كما هو معلوم أن الدول الاستعمارية "...بريطانيا، وألمانيا، وفرنسا، وإيطاليا، وهولندا، والبرتغال كانت تتنافس فيما بينها بشراسة على السيطرة العالم بما فيه إفريقيا، وتضرب ببطش على قوى محلية تحاول الإفلات من قبضتها، لهذا وقعت الدولة العمانية في شرق إفريقيا كسائر الممالك الإفريقية الأخرى تحت هيمنة القوى الاستعمارية الغربية وتلاعبها،"¹ واستطاعت الدول الاستعمارية تفكيك دولة زنجبار، بدأت بفصلها عن عمان ثم اتجهوا إلى تفكيكها إلى ولايات أخرى في شرق أفريقيا حتى بقيت جزيرة أنغوجا و بيمبا وما حولهما من الجزر الصغرى، وبعد ذلك اتجهوا إلى تفكيك المجتمع في الداخل، فبعد الحرب العالمية الأولى وقيام الثورة الشيوعية في روسيا أدى إلى أن تشهد زنجبار العديد من التحولات الدستورية الهامة إذ أصبح المعتمد البريطاني مسؤولا مباشرا عن إدارة شؤون زنجبار، كما تقرر في ذلك العام إنشاء مجلسين رسميين للمعاونة في الحكم، وهما المجلس التنفيذي، والتشريعي.

- المجلس التنفيذي: اتخذ مقره في بيت العجائب، ويرأسها السلطان وينوب عنه المعتمد السياسي ويتكون من رؤساء المصالح الحكومية وهم عادة من الإنجليز إلى جانب أربعة أعضاء يختارهم السلطان من الأعيان.

- أما المجلس التشريعي فيرأسه المعتمد البريطاني بنفسه، ويتشكل من أعضاء رسميين وغير رسميين يتم تعيينهم ويتوزع مقاعده بين العناصر العرقية المتباينة في السلطة، فأصبح هذا المجلس يقوم على أساس الطائفية التي برزت بصورة واضحة، وكانت عناصرها تتكون من:

● الهنود الذين تركز نفوذهم الاقتصادي في المجالات التجارية.

¹ سليمان بن سالم بن ناصر الحيني، الحملات التنصيرية إلى عمان والعلاقة المعاصرة بين النصرانية والإسلام، جامعة نزوى، ط2- 1435هـ/2014م، ص90.

- العرب الأصليون من عمان والجزيرة العربية الذين كانوا يشكلون الطبقة الحاكمة وكبار ملاك الأراضي الزراعية، وقد ارتبطت عناصر تلك المجموعة بالبلاط السلطاني واحتل أفرادها المناصب الإدارية العليا، ومن ثم تكونت طبقة أرستقراطية لها مكانتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية..
- المجموعة السواحلية التي ضمت خليطا من العرب والفرس والزنج، إضافة إلى العناصر الشيرازية التي احتلت الوظائف الدنيا والمتوسطة في إدارة الحكومة.
- الزنجية التي كانت تضم الأفارقة الأصليين إلى جانب العناصر المولدة نتيجة التزاوج والمصاهرة.

وعلى الرغم من أن تلك المجموعة كانت تشكل غالبية السكان إلا أنها لم تكن مكتملة الوعي السياسي أو الثقافي.¹

عند الحديث عن المجالس التي أسستها بريطانيا في زنجبار وعلى رأسها مجلس التشريع في زنجبار، يجب الوقوف على نقطتين هامتين:

الأولى: تتمثل في أسلوب اختيار الأعضاء الذي استخدمته بريطانيا منذ تأسيس المجلس حيث اعتمد على أسلوب التمثيل العرقي وهو الأسلوب الذي أدى فيما بعد إلى تمزيق المجتمع الزنجباري إلى مجموعات عرقية..² وفي ظل الوجود الاستعماري في زنجبار أخذت كل تلك المجموعات تتنافر عن بعضها البعض، وسعت كل واحدة منها للحصول على مكاسب تخص مجموعاتها، مع تغييب النظرة الوطنية الزنجبارية..³

¹ . جمال زكريا قاسم، دولة البوسعيد في عمان وشرق إفريقيا منذ تأسيسها وحتى نهاية حكمها في زنجبار وبداية عهدها الجديد في عمان، مركز زايد للتراث والتاريخ - الإمارات العربية المتحدة، 1420هـ/2000م، ص 357/358.

² أحمد بن خلفان بن علي الشبلي ، زنجبار في عهد السلطان خليفة بن حارب البوسعيدي (1911/1960م)، دار الفرقد-دمشق - سورية، ط1 - 1436هـ/2015م، ص 129.

³ الشبلي، مصدر نفسه، ص 130.

الثانية: فهي محاولة السلطات الاستعمارية في زنجبار لترسيخ صورة ذهنية في عقول المجتمع الزنجباري تربط بين الاستعمار الإنجليزي والعرب، ذلك من خلال المساندة العلنية للعرب في زنجبار، جريا على سياستهم المتظاهرة بالمحافظة على حقوق الأقليات، واشتراكهم في المجالس (التشريعية) بنسب لا تتوافق مع نسبة تمثيلهم في المجتمع الزنجباري.

كما استطاع هذا المستعر ربط العبودية وتجارة الرق بالعرب الأمر الذي جعل الأفارقة ينظر إليهم نظرة العدوان والثأر.¹

فبعد الحرب العالمية الثانية تأثرت زنجبار اقتصاديا تأثرا بالغاً لصالح المجهود الحربي الأمر الذي جعل الحركة الوطنية " الاضطرابات العمالية والفلاحية التي لم تقتصر على المطالبة بتحسين الأوضاع الاقتصادية أو زيادة الأجور فحسب، وإنما تعدت ذلك إلى المطالبة بالإصلاحات الديمقراطية وتمثيل عناصر السكان في الحكم والإدارة.²

ولما عاد المثقفون الذين درسوا في بريطانيا واستوعبوا الفكرة الديمقراطية نشطوا في تكوين تنظيمات سياسية محاولين إعادة المجتمع كما كان بدون تنافس عرقي،³ ولكن بريطانيا المحتلة لم تلبث إلا بتشويه كل ما يتشكل بالإصلاح الاجتماعي⁴ ، وهياً الأوضاع لانقلاب دموي ليكمل خطته الأخيرة على تدمير زنجبار سنة 1964م⁵ بسنة بعد الاستقلال 1963م.⁶

لهذا نفهم أن المجتمع في ذلك الوقت اشتغل كثيرا في أمور السياسية والعراك مع المستعمر لأجل حريته ومصالحه، والمستعمر لم يترك الأمة تتحد حتى تتمكن من إخراجه فارغ اليدين

¹ الشبلي، زنجبار في عهد السلطان خليفة بن حارب البوسعيدي (1911/1960م)، مصدر سابق، ص 131.

² جمال زكريا قاسم، دولة البوسعيد في عمان وشرق إفريقيا، مصدر سابق، ص 358.

³ جمال زكريا قاسم، مصدر نفسه، ص 358.

⁴ الشبلي، زنجبار في عهد السلطان خليفة بن حارب البوسعيدي (1911/1960م)، مصدر سابق، ص 259.

⁵ الريامي، زنجبار شخصيات وأحداث مصدر سابق، ص 261.

⁶ جمال زكريا قاسم، دولة البوسعيد في عمان وشرق إفريقيا، مصدر نفسه، ص 366.

الأمر الذي جعله يستغلهم وراء ظهورهم وبث سم الشبه بينهم، فمزق المجتمع عرقيا بالمجلس التشريعي وبعد ظهور أحزاب سياسية أكمل مشروعه الأخير ليخرج من البلد تاركا من يمسح شعار الدين والعلماء والمثقفين، بانقلاب دموي.

فالسؤال الذي نطرحه هنا؛ أين كان علماء الدين حتى استطاع المستعمر تمزيق المجتمع وإقامة فتنة كبرى؟

الجواب: يقول أحمد بن حمد الخليلي - المفتي العام لسلطنة عمان - لما سئل عن دور الجهود العلمية والدعوية في ذلك الوقت فأجاب بقوله: "...كان لبعض الناس جهود، كان بعض الناس متفانين في هذا الجانب ولكن مع ذلك كانت هذه الجهود غير منظمة وقليل من الجهد مع التنظيم يعطي عطاء أكثر مما يعطي الجهد الأكبر الذي هو غير منظم، فجهود غير منظمة مثل هذه تلاشى وذهبت هباء لذلك انقلبت الأمور رأسا على عقب.."¹

لهذا فالخطأ الذي ارتكب من قبل إباحية زنجبار هو عدم تنظيهم للدعوة بل سلطوا معظم مجهوداتهم في العراك مع المستعمر تحت ظل الجمعية العربية الأمر الذي لم يأت أكله في حينه.

المطلب الخامس: الأوضاع بعد انقلاب وحركة الإباحية فيها.

منذ أن ثبتت بريطانيا نفوذها على زنجبار 1890م كانت يستهدف الإسلام والمسلمين، لأن زنجبار في ذلك الوقت كانت هي المنطقة التي تؤثر مناطق أخرى في شرق إفريقيا بقوة حتى قيل "إن تعالى المزمار في زنجبار رقص الناس في البحيرات رقصا" ويستفاد من هذه المقولة قيادة زنجبار للأمم المجاورة فكريا وثقافيا، لا شك أن نفوذ زنجبار على سكان المنطقة كان يعني انتشار الإسلام، الأمر الذي لم يرق في أهواء الإدارة الإنجليزية، لهذا بذلت قصارى جهدها

¹ قناة بصيرة، موقف وعبر وفوائد لقاء مع سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، يحاوره عبدالله بن سعيد المعمرى، بكلية العلوم الشرعية 23 صفر 1439هـ / 16 ديسمبر 2014.

على إقصاء ذلك النفوذ¹، فكانت نتيجة ذلك أحداث يناير 1964م ويقول التل " وكانت الأوامر صريحة تقتضي بقتل كل عربي مسلم، فلم ينقض ذلك اليوم الأسود إلا بذبح أكثر من خمسة عشر ألف مسلم دون تمييز بين الأطفال والنساء والشيخوخة.. وأخذ عبيد أمان كرومي² في إزالة الصبغة الإسلامية عن الجزيرة شيئا فشيئا"³، ويقول معمر "وعندما قامت الثورة الشيوعية في تنجانيقا استطاعت أن تطيح بدولة زنجبار وأن تضمها إلى تنجانيقا تحت اسم تنزانيا، وشرد المسلمون والعرب وأتلفت مصادر الثقافة الإسلامية وحرقت الكتب، وقضي على العلماء"⁴.

ظهور الحركة الدينية من جديد عند الإباضية في زنجبار

بعد تلكم الأحداث كان الإباضية أكثر الناس ضررا من غيرهم بكونهم أكثر مؤيديها من العرب العمانيين، فالأحداث على ظاهرها كانت تستهدف عرقا عربيا بالخصوص، لذلك اضطرت الإباضية إلى الدخول في الكتمان الخفي ولم تتحرك الحركة الإباضية إلا في سنة 1984م إذ بدأت الحلقة العلمية في المسجد الشكصي على يد الشيخ حميد بن سعيد البحري لئنشئ فيما بعد جمعية الاستقامة بعد قبول الناس تلك الحلقة بقوة.

إنشاء جمعية الاستقامة في زنجبار:

بعد أن بدأت الإباضية تعيد أنفاسها في زنجبار أخذ طلاب الشيخ حميد بن سعيد⁵ يفكرون في لم شمل كلمة الإباضية في زنجبار، فخرج الشيخ سالم آل عبد السلام والشيخ ناصر

¹ الريامي، زنجبار شخصيات وأحداث مصدر سابق، ص512.

² أول رئيس لزنجبار بعد الثورة الانقلاب 1964.

³ عبد الله التل، الأفعى اليهودية في معازل الإسلام، مكتب الإسلامي بيروت، ط2، ص196.

⁴ علي يحيى معمر الإباضية مذهب إسلامي معتدل، دن، ط3، ص14.

⁵ ولد الشيخ حميد بن سعيد البحري في زنجبار سنة 1350 هـ / 1931م في قرية تسمى كيتوبي Kitope ولما بلغ عمر التعليم بدأ التعلم القرآن الكريم من أمه ثم من عمه حمود، والقراءة والكتابة، واللغة العربية، والفقه، والتربية الإسلامية من أبيه سعيد بن عبد الله. وبدأ دراسته الابتدائية بعد تجاوزه السابعة عشر من عمره بفصل الرابع بعد التقويم، وتخرج من

الخطائي - صاحب الفكرة - قاصدين إلى الشيخ حميد لطرح قضيتهما هذه، فوجدا أن الشيخ قد ناقش الموضوع مع الشيخ منير المسروري، ولكن ظروف السياسية لم تكن ساحة بذلك، فتشجع الطالب الخطائي على إنشاء الجمعية حتى قبل الشيخ حميد ليبدأ منطلق جديد للإباضية في زنجبار.

من ذلك المنطلق فأمر الشيخ البحري أن يعلن للناس هذا الأمر ليجتمع أول لقاء لمناقشة الموضوع، فاجتمع حوالي 26 شخصا لهذا الأمر فاتفقوا على تسميتها بمدرسة الاستقامة نظرا لعدم القبول من الحكومة آن ذاك بإنشاء أي جمعية كانت.

فأرسل الخبر إلى إخوانهم في الجزيرة الخضراء (بمبا) ليكونوا معهم، فبعد تسجيل رسمي لمدرسة الاستقامة بحكومة زنجبار أتي خبر من سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي على إنشاء الجمعية بمستوى تنزانيا، فاستجابوا دعوة مجتهد العصر فسعوا إلى ذلك ليكمل المشروع في سنة 1995 على مستوى تنزانيا، فاختر الشيخ حميد بن سعيد أول رئيس لوحدة الإباضية بتنزانيا تحت راية جمعية الاستقامة.¹

1- نبذة تعريفية لجمعية الاستقامة:

جمعية الاستقامة هي جمعية إسلامية خيرية اجتماعية، ثقافية، غير سياسية، معروفة باسم "جمعية الاستقامة الإسلامية التنزانية" تأسست رسميا على المستوى الإفريقي التنزاني عام 1995، واتخذت عاصمة تنزانيا - دار السلام - مقرها.

كلية المعلمين سنة 1955م، وعمل مدرسا في مدارس الابتدائية من سنة 1956، وفي سنة 1975م نُقل إلى كلية المعلمين التي تعلم فيها كمعلم للمعلمين وفي السنة 1986م كتب رسالة طلب التقاعد من الوزارة كي يتفرغ لخدمة المساجد وتعليم الصغار وتربيتهم تربية إسلامية. عبدالله بن حميد بن سعيد البحري، أمين العام لجمعية الاستقامة فرع زنجبار، مراسلة.

¹ محمد بن صالح بن جمعة الشيرازي، الجهود العمانية الإباضية في زنجبار، كلية العلوم الشرعية - مسابقة بن عمير - سلطنة عمان، 1439هـ/2017م، ص77.

2- أهداف الجمعية:

- أ. تتضمن أهداف الجمعية الأساسية على خدمة التعليم الديني الإسلامي النقي - فكرة أهل الدعوة والاستقامة - ، والإسهام في إحياء الثقافة الإسلامية في المجتمع التنزاني¹ ، وهذا يظهر جليا في الرسالة التي أرسلت إلى الشيخ ناصر المرموري لما رجعوا من زنجبار قائلة له " والجمعية أيها الوفد الكريم.. تسعى جاهدة لبث روح الحيوية والمبادرة في الكتاب الإباضي في تنزانيا؛ وتهيئة أرض صلبة ينطلق منها المذهب بخطى ثابتة ومدروسة إلى آفاق أرحب، ووضع خطة شاملة بعيدة المدى تتعدى فيها معالم الطريق لمواجهة التحديات، والطوارئ، وتفادي العقبات التي تعترض الطريق.."² فكان من مطالب الجمعية من فضيلة الشيخ المرموري هي توفير منح دراسة للنشء الإباضي، وإرسال الدعاة ذوي الكفاءة العالية، وتزويد مكنتها بالكتب الشرعية واللغة.
- ب. عمارة المساجد بأئمة ذوي كفاءة، وتقديم الخدمات الاجتماعية، ومعاونة المحتاجين.
- ج. لم شمل العمانيين وتوحيد فكرهم وإعادة اللغة العربية إلى مجراها الأصلي واستعادة الهوية العمانية الضائعة وترسيخ العادات الحميدة وسط المجتمعات وحماية الجالية من الانحراف الفكري والسلوكي والسياسي.
- د. إيجاد فرص مواصلة الدراسة الجامعية في داخل البلاد وخارجها للطلاب والطالبات الذين يتخرجون من مؤسساتها التعليمية.
- هـ. كفالة أولاد الأسر العمانية الفقيرة، والتعامل مع هموم ومشاكل الجالية العمانية، وتقديم الدعم الإنساني للشرائح الضعيفة.
- و. إيجاد فرص عمل للجالية في مؤسسات الجمعية أو غيرها في مجالات مختلفة سواء أكانت تعليمية أو تجارية أو إدارية أو في مجال أعمال خيرية أخرى .

¹ نشاط جمعية الاستقامة في دولة زنجبار 1434هـ/2012م، مكتبة أبي اسحاق - غرداية - الجزائر ، ص1.

² النميز روايات وأحداث، مصدر سابق. ص114.

ز. تمكين الشعب التنزاني لفهم التراث والثقافة العمانية وتركيز الجهود للحد من الكراهية والعنصرية التي تمارسها بعض التيارات المغرضة ضد العمانيين.¹

3- الهيكل التنظيمي للجمعية:

أ- مجلس الإدارة: ينتخب الأعضاء في الجمعية العمومية أعضاء مجلس الإدارة مرة في كل خمس سنوات، ويتألف مجلس إدارة جمعية الاستقامة التنزانية من عشرة أعضاء منتخبين في وظائف تالية:

رئيس الجمعية ونائبه، أمين عام للجمعية ونائبه، مسؤول الشؤون المالية ونائبه، مسؤول الشؤون الدينية ونائبه، والمستشار القانوني.²

ب- اللجنة التنفيذية: تتكون اللجنة التنفيذية من أعضاء مجلس الإدارة مع عضو واحد من كل فرع من زنجبار، وتانغا، وبوكوبا، وكيغوما،³ وموانزا، وروفيجي، ومانويني، ومباندا، ونويغا، وجزيرة بيمبا من شمالها وجنوبها، وتابورا، وشنيانغا، وسمبوانغا، ودار السلام، وتتعقد اجتماعات مرتين في السنة.⁴

مهام اللجنة التنفيذية:

- وضع البرامج ورسم سياسات الجمعية وتحديد استراتيجياتها.
- التنسيق مع الفروع.
- الإشراف على أنشطة الجمعية وهي مسؤولة عن متابعة وصولاً لتحقيق الأهداف المرسومة وفقاً لقرارات وتوصيات الصادرة من الجمعية العمومية.

¹ نشاط جمعية الاستقامة، مصدر سابق، ص1.

² نشاط جمعية الاستقامة، مصدر نفسه، ص4.

³ نشاط جمعية الاستقامة، مصدر نفسه، ص4.

⁴ نشاط جمعية الاستقامة، مصدر نفسه، ص5.

- تتسلم من الفروع ومن اللجان الفرعية تقاريرها عن كل الأعمال والأنشطة للأعوام المنصرمة وتحضير مقترحات لأعمال الجمعية خلال المرحلة القادمة ورفعها للجمعية العامة.

ت- الجمعية العمومية: تمثل الجمعية العمومية السلطة العليا للجمعية وتعتد اجتماعها مرة واحدة في كل خمس سنوات ويحق لها عقد اجتماع طارئ قبل هذه المدة إذا دعت الضرورة.¹

وتتكون من :

- جميع أعضاء اللجنة التنفيذية.
- جميع أعضاء الأمناء (وعددهم بين سبعة أو عشرة)
- عضوان من كل فرع²

مهام الجمعية العمومية:

- أ- انتخاب أعضاء مجلس الإدارة وأعضاء مجلس الأمناء
- ب- تعديل الدستور.
- ت- إقالة العضو الذي فقد صلاحية القيادة بسبب من الأسباب المنصوص عليها في الدستور.³

5 - مصادر الدخل:

- أ- التبرعات التي يقدمها المحسنون من سلطنة عمان بواسطة الشيخ زاهر بن خليفة العلوي، والشيخ محمد بن سالم البوسعيد.

¹ نشاط جمعية الاستقامة، مصدر سابق، ص5.

² نشاط جمعية الاستقامة، مصدر نفسه، ص6.

³ نشاط جمعية الاستقامة، مصدر نفسه، ص6.

ب- الدعم الذي تقدمه الجهات الرسمية من سلطنة عمان مثل الديوان ووزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

ت- التبرعات والأوقاف والهبات من أبناء الجالية داخل البلاد.

ث- الاستثمارات والنشاطات التجارية التابعة لها.¹

جمعية الاستقامة هي الجمعية الوحيدة التي استطاعت أن تحمل حركة الإباضية الزنجرارية، وأن تخرجهم من الكتمان الخفي إلى الكتمان الظاهر بإنشاء الكتاتيب والمدارس، والآن سنورد بعض تطورات الحركة العلمية التي مرت بها منذ نشأتها.

بالنسبة للحركة العلمية لجمعية الاستقامة تطورت على أربعة مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة الكتاتيب عام 1984م.

المرحلة الثانية: تأسيس معهد الاستقامة للدراسات الإسلامية عام 1995م

والمرحلة الثالثة: مرحلة تأسيس المدرسة النظامية عام 2005م.

والمرحلة الرابعة: هي خطوات نحو إصلاح التعليم وتطويره إبتداء من سنة 2012م²،

فجمعية الاستقامة تسعى إلى التثقيف والترسيخ في المجتمع مبادئ الدين الإسلامي الحنيف بشكل عام ونشر تعاليم أهل الحق والاستقامة بالخصوص.

ويمكن أن نعطي للقارئ صورة مختصرة لبعض الإنجازات لهذه الجمعية تحت فرعها الزنجراري بتكرير سنة 1434هـ/2012م حتى يدرك القارئ مدى مجهودات هذا الفرع في نشر وتثقيف وتطوير مستوى العلمي.

¹ نشاط جمعية الاستقامة، مصدر سابق ص2.

² نشاط جمعية الاستقامة، مصدر نفسه ص2

كما أشرنا آنفا حول تطورات الحركة العلمية لهذه الجمعية إلى أن استطاعت بناء معهد إسلامي يضم ويجمع الطلاب من بقاع مختلفة لشرق إفريقيا، فهنا يمكن أن نوضح ذلك بشكل سريع:

- فجمعية الاستقامة الزنجبارية إلى سنة 2012 تضم 17 مدرسة دينية (الكتاتيب) في مدينة زنجبار وريفها بلغ عدد تلاميذها 3915 تلميذ وتلميذة.

- تمكنت من إنشاء معهد إسلامي على المستوى الثانوي، وذلك بالمحافظة الجنوبية لزنجبار على بعد 17 كيلومترا من مركز مدينة زنجبار، ليستقبل الطلاب محليا وإقليميا.

- أنشأت مدرسة إسلامية نظامية عصرية حيث يدرس فيها الطالب من الروضة حتى المرحلة الثانوية وقد بلغ عدد الدارسين في عام 1433هـ/2012م، 812 طالبا وطالبة، وعلى حسب خططها تسعى إلى استقبال 120 طالبا وطالبة في كل عام دراسي جديد.

الجمعية دائما تسعى إلى تثبيت أغراضها في أرض الواقع، فهي تبني وترمم وتعمر المساجد، وتعمل الخدمات الاجتماعية من حفر الآبار، وكفالة الأيتام وتعليمهم، وإنشاء المستشفيات، وإعانة الشباب ماديا على الزواج وغيرها من الخدمات.¹

بعد هذا العرض اليسير المتواضع عن حركة جمعية الاستقامة من إنشائها إلى سنة 1434هـ/2012م وبقربها الزنجباري بالخصوص يمكن أن نقول: يوجد كثير من الانجازات التي ما ذكرناها هنا لعدم توفير المراجع والمصادر لتوثيق تلكم الانجازات، فالقول الذي يمكن أن نقوله الآن هو أن زنجبار تتحرك وفق مسلك الكتمان الظاهر.

¹ نشاط جمعية الاستقامة مصدر سابق، ص8

خلاصة الفصل الثاني:

قد أخذنا في هذا الفصل صورة واضحة للمسلك المعاصر بالمغرب، وزنجبار بالخصوص ويمكن أن نلخص هذا الفصل في عشر نقاط:

1- مسلك الكتمان ينقسم إلى قسمين وهما مسلك الكتمان الخفي ومسلك الكتمان الظاهر.

2- العزابة ونشاطها في المجتمع المغربي، فهي هيئة محدودة العدد، تمثل خيرة أهل البلد علما وصلاحا، والتي تقوم بالإشراف الكامل بشؤون الحياة في المجتمع الإباضي في جميع أنحاءه.

3- أبو عبدالله محمد بن بكر الفرسطائي هو المؤسس الأول لهذه الحلقة لما طلب منه شيخه أن يجعل لهذه الدعوة طريقا شرعيا يمكن أن يضمن البقاء لهذا الدين سالما وطاهرا كما كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

4- من ضمن مناطق تواجد الإباضية حاليا زنجبار، وهي تقع في المحيط الهندي بشرق إفريقيا، لقد دخل الإسلام إليها مع القرن الأول الهجري ووجد الإباضية فيها في وقت مبكر جدا.

5- زنجبار تأثر بالحكم العماني؛ بحكميها الإمامي والسلطاني، ونظام الحكم الذي كان سائدا في زنجبار قبل سيطرة بريطانيا هو كتاب الله والسنة النبوية الشريفة، مع ذلك لم يمنع الأجانب من البريطانيين وأمثالهم على اتخاذ موقفهم الخاص حول هذه الأحكام، فأبعدوا جاليتهم عن هذه الأحكام لينفردوا بأحكام وضعية كانت تطبق في تلك البلدان.

6- يتكون سكان زنجبار من مختلف الأعراق، فهي تجمع بين العرب بمختلف قبائلها، والأفارقة، والهنود، فهذه الأعراق عاشت بتفاهم وتسامح شديد الأمر الذي أدى إلى تزاوجهم وتناسلهم وتلاحمهم بشكل دقيق، خاصة بين العرب والأفارقة.

- 7- حياة دينية كانت بتسامح شديد بين المذاهب، فوجد فيها الإباضية والسنة على مذهب الشافعي، والشيعة الاثنى عشرية، والإسماعلية بصورة أقل.
- 8- الإباضية في هذه البقعة عاشوا في مرحلة الكتمان الظاهر، بحيث كانوا أحرارا في تثقيف المجتمع ونشر مبادئهم.
- 9- المحتل البريطاني استطاع أن يمزق وأن يفرق هذا المجتمع الذي كان شديد التلاحم بإنشاء المجلس التشريعي العرقي، وكان شديد زرع شبه الرق والعبودية حتى قبل بشكل كبير عند الأفارقة، أمر الذي جعلهم يستجيبون برغبات الأجانب تجاه إخوانهم العرب.
- 10- جمعية الاستقامة الخيرية الزنجبارية هي الجمعية الوحيدة التي استطاعت أن تخرج أتباع المذهب الإباضي بعد الانقلاب الدموي من مسلك الكتمان الخفي إلى مسلك الكتمان الظاهر، وتسعى إلى تثقيف وتعليم وترسيخ مبادئ الإسلام الصحيح النقية في المجتمع الزنجباري، فلها النشاط الديني والعلمي، والاجتماعي.

الاستنتاج العام للبحث:

في نهاية هذا البحث في هذا الموضوع الذي يجمع بين الإفادة والاستفادة يمكن أن نخرج بنتائج آتية:

- الإباضية مذهب من المذاهب الإسلامية المعتدلة تعتمد على مصادر التشريع المتفق عليها والمختلف فيها، فالقرآن مقدم عندهم قبل كل شيء فالحديث النبوي الشريف الصحيح، والإجماع والقياس وغيرها من أدلة كالأستحسان، والمصالح المرسلة، وسد الذرائع وما بقي من الأدلة المعتمدة والمختلف فيها، فالقارئ لمسالك الدين عند الإباضية سيلاحظ استثمار هذه المصادر بالوضوح، والغاية من هذا كله هو ترسيخ وتمكين دين الله الذي ارتضى به بحكمة بالغة.

- مفهوم عام لمسالك الدين عند الإباضية هي طرق تطبيق دين الله في الأرض بأحكامها، وتوظيف مقاصدها في الواقع، والظاهر في هذه المسالك هو مراعاة هذه المقاصد من حفظ الدين، والنفس، والمال والعرض، من حيث لا يتحركون من مرحلة إلى أخرى إلا بعد استقصاء دقيق لما يمكن أن تقول إليه المجتمع.

- يظهر في هذه المسالك بعدم إعطاء فرصة التنفس لأي ظالم يريد أن يشوه ويخرب المجتمع الإسلامي، ومسؤولية الأمة على عاتق كل فرد من هذا المجتمع تطبيقاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : ((كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَّةٌ ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْحَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ¹)) وقوله ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيَعِزَّهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ))².

¹ البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ، الجامع الصحيح ، دار الشعب - القاهرة، ط1، 1407 - 1987، ج3، ص 157.

² مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، الجامع الصحيح ، دار الجيل بيروت دط، ج1 ص50.

فهذا المنطلق الحق الذي وقف به الإباضية فأطلقوا عليه بمسالك الدين يجعل الأمة موحدة متماسكة متحابية في الله وأخذ بيد الغير إلى مرضاة الله.

- الجهد الدعوي المنظم بنظام دقيق متماسك هو الذي يرفع مستقبلية الدعوة الإسلامية وهو الذي يعطي أكله في أرض الواقع وفي الوقت المناسب وفق تقلبات الأحوال والظروف، هذا ما نلاحظه في مسيرة هذا البحث ونرى دراسة دقيقة لأحوال الزمان حتى يعطي للإباضية كيفية التحرك وفق تلکم الأحوال والظروف.

- وجدنا في هذا المنطلق لهذا البحث أن لكل مسلك من مسالك الدين دليل واضح من القرآن والسنة النبوية الشريفة وسيرته صلى الله عليه وسلم الذي يمكن أن يعتمد عليه، لهذا يمكن أن نقول إن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المؤصل والمطبق الأول لهذه المسالك.

- وجود المرجعية التي يمكن أن يُعتمد عليها في شؤون المسلمين وتنظيماتهم أمر ضروري، إذ نلاحظ في هذا البحث أنه من الأسباب التي جعلت الإباضية يصمدون أمام كل النوازل والشدائد، هو وجود المرجعية التي تقودهم في كل الأحوال، فهم في مرحلة الظهور، والدفاع والشراء يكونون تحت إمام عادل تقي يتوافق بهذه المراحل، ولا يتحرك أحد إلا باتفاق رجال الصلاح والمعرفة والعلم، وفي مرحلة الكتمان لا يغفلون عن تكوين هيئة إصلاحية تهتم بشؤون المجتمع، هذا هو السر الوحيد الذي جعل الإباضية أقوياء على الصمود أمام النوازل والأحداث بدون أن تتزعزع أفكارهم ومبادئهم.

- التزام بتطبيق أوامر الله التي ارتضاها لعباده المؤمنين: من المعلوم لدى كل دارس مطلع أن الإباضية عاشوا حياتهم الطويلة عبر العصور في ظل العقيدة الإسلامية السمحاء، متنعمين بنعيمها، ملتزمين بتطبيق أوامرها التي ارتضاها الله لعباده المؤمنين، متخطين جميع العقبات، متخذين كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم نصب أعينهم: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ

يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾¹

¹ الإسراء 9.

وأخيرا نوصي الأمة الإسلامية عامة والإباضية خصوصا على هذه المسالك لضرورتها، لأنها هي التي تضمن التمكين لهذا الدين الحنيف في الأرض.

ولا ننسى أن نقدم توصيتنا للباحثين على إلقاء الضوء حول هذا الموضوع حتى يخرجوا مكنون هذا الكنز الذي ينتظر من يخرجها إلى أرض الواقع، لأن الأمة بحاجة ماسة إلى توضيح مثل هذه المواضيع لأنهم يعيشون في زمان كثرت فيه الآراء السلبية التي تستهدف الأمة الإسلامية بسوء.

قائمة المصادر والمراجع:

● القرآن الكريم

كتب التفسير:

- 1- هود بن محكم الهواري، تفسير كتاب الله العزيز، تح: بالحاج بن سعيد شريف، دار البصائر - الجزائر، ط1 - 1426هـ/2005م.
- 2- محمد ابراهيم سعيد كعباش، نفحات الرحمن في رياض القرآن، جمعية النهضة - العطف - غرداية - الجزائر، دط، 1425هـ/2004.
- 3- أحمد بن حمد الخليلي، جواهرُ التفسير أنوار من بيان التنزيل، مكتبة الاستقامة، دط 1406هـ/1986م.
- 4- محمد بن الحواري العماني، الدراية وكنز الغناية ومنتهى الغاية وبلوغ الكفاية في تفسير خمسمائة آية، تح: محمد زناقي عبد الرحمن، دن، ط1، 1411هـ/1991م.
- 5- أحمد بن يوسف اطفيش، تيسير التفسير تح: ابراهيم طلاي، مطبعة العربية - غرداية، دط، 1423هـ/2002م.

● كتب السنة النبوية الشريفة وشروحها:

- 6- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، 1414هـ - 1994م.
- 7- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، الجامع الصحيح، دار الشعب - القاهرة، ط1، 1407هـ/1987م.

8- مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح، دار الجليل بيروت، دط.

9- عبدالله بن حميد السالمي، شرح الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب بن عمر الفراهيدي الأزدي، مكتبة الإمام نور الدين السالمي، ط10.

10- محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، مكتبة أبي المعاطي، دط.

● كتب الفقه والعقيدة:

11- أحمد بن عبد الله بن موسى الكندي: المصنف، تحقيق: مصطفى باجو، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - سلطنة عمان، ط1، 1437هـ/2016م.

12- أحمد بن سعيد الشماخي مقدمة التوحيد وشروحها، صحتها وعلق عليها أبو اسحاق ابراهيم أطفيش، دن، دط.

13- فرحات الجعبري، البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، جمعية التراث - القرارة - الجزائر، ط1 - 1408هـ/1987م.

14- أحمد بن يوسف اطفيش (1238-1332هـ/1821-1914م) شرح عقيدة التوحيد، تح: مصطفى بن ناصر وينتن، جمعية التراث القرارة- غرداية الجزائر، ط1، 1422هـ/2001م.

15- محمد بن شمس البطاشي، غاية المأمول في علم الفروع والأصول، وزارة التراث القومي والثقافة - سلطنة عمان، دط، 1407هـ/1987م.

- 16- علي بن محمد البسيوي، جامع أبي الحسن البسيوي، تح: سليمان بن إبراهيم بابيز الوارجلاني، دود بن عمر بابيز الوارجلاني، دط، دن.
- 17- يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، الدليل والبرهان، وزارة التراث القومي والثقافة- سلطنة عمان، تح: سالم بن حمد الحارثي، دط.

● القواميس والمعاجم

- 18- محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية - بيروت (لبنان)، ط2 - 1430هـ/2009م.
- 19- جبران مسعود، الرائد معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين- بيروت - لبنان، ط4 - 1981م.
- 20- محمد بن يعقوب الفيرزبادي الشيرازي، القاموس المحيط، تح: محمد محمود بن تلاد، دار العلم للجميع - بيروت - لبنان، ط-1، 1415هـ/1995م.
- 21- محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية، دط.

● معاجم المصطلحات:

- 22- مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - سلطنة عمان - ، ط1، 1429هـ/2008م.

● معاجم الأعلام

- 23- مجموعة الباحثين، معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب) جمعية التراث لجنة البحث العلمي، ط1، 1420هـ/1999م..

24- محمد بن صالح ناصر الجزائري وسلطان بن مبارك الشيباني، معجم
أعلام الإباضية (قسم المشرق)، دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان،
ط1.

25- خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي، الأعلام، دار
العلم للملايين 2002م.

● السير والتاريخ:

26- اسماعيل بن كثير، السيرة النبوية، تح: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة
للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، دط.

27- أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تح:
إبراهيم طلاي، مكتبة الضامري - سيب سلطنة عمان، ط3، 2016م.
وط2، دن.

28- سرحان بن سعيد الأزكوي، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تح: محمد
حبيب صالح ومحمد بن مبارك السليمي، وزارة التراث والثقافة - سلطنة
عمان، ط2 - 1434هـ/2013م.

29- مهدي طالب هاشم، الحركة الإباضية في المشرق العربي، دار الحكمة -
لندن - ط1.

30- أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي، كتاب السير، تح: أحمد بن
سعود السيادي، وزارة التراث القومي والثقافة - سلطنة عمان - ط3،
1412هـ/1992م.

- 31- علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1384هـ / 1964م.
- 32- سالم بن حمود بن شامس السيّابي، عُمانُ عبْر التاريخ، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط2، 1406هـ/1986م.
- 33- عمرو خليفة النامي دراسات عن الإباضية، تر: ميخائيل خوري، دار الغرب الاسلامي، الطبعة 1، 2001م.
- 34- عبدالله بن حميد السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مكتبة الإمام نور الدين السالمي - السيب-عمان، دط.
- 35- يحيى بن أبي بكر، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، دار الفكر العربي - بيروت - لبنان، ط2 - 1402هـ/1982م.
- 36- أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تح: اسماعيل العربي، المكتبة الوطنية الجزائرية-الجزائر 1399-1979.
- 37- مهدي طالب هاشم، الحركة الإباضية في المشرق العربي، دار الحكمة لندن، ط1.
- 38- محمد قرقرش ، عمان والحركة الإباضية، مكتبة مسقط، ط1، 1410هـ/1990م.
- 39- محمد بن سعيد بن رمضان البوطي، فقه السيرة، مطبعة جامعة دمشق، ط6، منشورات جامعة دمشق سنة 1416-17هـ/1996-97م.
- 40- مبارك بن عبد الله بن حامد الراشدي، إمام أبو عبيدة مسلم بن ابي كريمة التميمي، دن، ط1.

- 41- محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1340هـ/1921م- إلى عام 1395هـ/ 1975م، دار البعث - قسنطينة - الجزائر، ط1، 1400هـ/ 1880م.
- 42- سعيد بن سالم النعماني، الهجرات العمانية إلى شرق أفريقيا، النادي الثقافي-مسقط دار الفرقد، ط1، 2012م.
- 43- ناصر بن عبد الله الريامي، زنجبار شخصيات وأحداث (1828-1972م) ، مكتبة بيروت- القاهرة، دط.
- 44- مصطفى إبراهيم الجبو، زنجبار في ظل الحكم العربي 1832-1890، وزارة التراث والثقافة-سلطنة عمان ، دط، 2007 م.
- 45- العلاقات التاريخية بين سلطنة عمان وشرق أفريقيا في العهد البوسعيدي 1882-1938م ، نظام الوقف والوصايا بزنجبار نموذجا، دط.
- 46- سعيد بن علي المغيري ، جبهة الأخبار في تاريخ زنجبار ، تح: محمد بن علي الصليبي ،وزارة التراث والثقافة سلطنة عمان، ط5 ، 1438هـ/2017م.
- 47- محمد بن رمضان شاوس و الغوثي بن حمدان ، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، المجلد الجزء الأول العصر القديم الجزء الثاني الصر الذهبي ،دار البصائر- تلمسان- دط، 2011م.
- 48- سير أبي عمار عبد الكافي (ت ق6هـ/12) ، مكتبة الضامري- السيب -سلطنة عمان، ط1، 1416هـ/1996م.

● كتب الفكر والحضارة:

- 49- مصطفى صالح باجو، منهج الاجتهاد عند الإباضية ، مكتبة الجيل الواعد، مسقط- عمان، ط1 -1426هـ/2005م.
- 50- صالح بن عمر اسماوي العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب، جمعية التراث القرارة- غرداية - الجزائر، ط1 -1426 هـ 2005م.
- 51- فرحات بن علي الجعبري، التجربة السياسية عند الإباضية، مكتبة الضامري- سلطنة عمان، ط1 .
- 52- عدون جهلان، الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش ،جمعية التراث- قرارة- الجزائر، دط.
- 53- بكير بن سعيد أعوش، الكتاب: دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، مطبعة البعث، قسنطينة- الجزائر ط1، 1402هـ/1982م.
- 54- بكير بن بلحاج وعلي، الإمامة عند الإباضية بين النظرية والتطبيق مقارنة مع أهل السنة والجماعة. مكتبة الضامري - سلطنة عمان- دط.
- 55- حسين عبيد غانم غباش، عمان الديمقراطية الإسلامية تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث (1500 -1970)، دار الجديد، ط1-1997م.
- 56- عيسى بن سليمان السعودي ، حلقة العزابة إنشاؤها-هيكلتها الهيئات المرتبطة بها، المطبعة العربية -غرداية، دط، 1431هـ/2010م.
- 57- بكير بن سعيد أعوش ، وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية، دن، دط.

- 58- عبد الرحمن عثمان حجازي، الفكر التربوي الإباضي في الشمال الإفريقي، المكتبة العصرية صيدا-بيروت، ط1، 1421هـ-2000م.
- 59- فرحات الجعبري، نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة، المعهد القومي للآثار والفنون- تونس، ط1، 1975م.
- 60- محمد ناصر ، حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي، مكتبة الضامري، دط، 1410هـ-1989م.
- 61- علي القرشي، البديل الإباضي وفن الممكن، مكتبة الجيل الوعد ط1، 1425هـ/2004م.
- 62- عبد الرحمن عثمان، التربية الإسلامية في القيروان في القرون الهجرية الثلاثة الأولى، المكتبة العصرية- سيدا بيروت ط1- 1417هـ/1997م.
- 63- عوض خليفات، النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في إفريقية في مرحلة الكتمان، دن، دط.